

**Jawānib min tārikh maqbarat al-ashraf as-sa'diyyīn bi
Marrakush fī an-nuṣuṣ wa al-wathā'iq at-tarīkhiyya**

**جوانب من تاريخ مقبرة الأشراف السعديين بمراكش
في النصوص والوثائق التاريخية**

سمير أيت أومغار
أستاذ باحث، مراكش

تم تسمية مقبرة الأشراف السعديين بهذا الاسم عن كونها مقبرة خاصة بأفراد الأسرة الزيدانية الحاكمة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر لا غير، وهو أمر غير صحيح، فالمقبرة تضم مجموعة من القبور السابقة على تأسيس الدولة السعدية واللاحقة عليها، تم التعرف عليها بفضل الكتابات العربية المنقوشة على شواهدها. فمتى بدأت عمليات الدفن في المقبرة الكائنة "قبلي جامع المنصور من قصبة مراكش"؟ وهل اقتصر امتياز الدفن في المقبرة زمن حكم السعديين على الأشراف دون غيرهم؟ وما مدى صحة المعلومات الواردة في هذه الكتابات الشاهدية؟ هل يمكن الاطمئنان لصحتها باعتبارها شواهد أثرية معاصرة للوقائع التي تتحدث عنها؟

سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة، من خلال الاعتماد بالدرجة الأولى على هذه الكتابات، دون إغفال النصوص التاريخية التي سنعمدها بشكل مكثف هي الأخرى، تارة لتأكيد بعض المعطيات الجغرافية وتارة لتصحيحها أو نفيها.

حول الأصل الموحد لمقبرة الأشراف السعديين

أثار أصل مقبرة الأشراف السعديين اهتمام بعض الباحثين منذ عهد الحماية الفرنسية، فقد حاولوا البحث في أصولها والتأريخ لأولى عمليات الدفن بها، فتجاوزوا العهد السعدي إلى ما سبقه، أملين العثور على إشارة تفيد وجود المقبرة خلال العصر الوسيط، مُستبعدين تمام الاستبعاد نشأتها مع بدايات الدولة السعدية.

ومن بين الذين أثاروا النقاش حول الأصل الوسيط للمقبرة، الباحث بيير دوسينيغال (Pierre de Cenival)، فقد أشار إلى الاحتمال الكبير لوجود المقبرة كفضاء

للدفن في الموضوع نفسه منذ العصر الموحدى،¹ لكنه قدم هذا الخبر في صيغة تأكيد عار من أية حجة تاريخية أو أثرية، وهو ما يجعلنا نتحفظ من هذا التأريخ للمقبرة في غياب المستند المصدري لهذا الحكم الجزائي. أما الباحث جورج مارسي (Georges Marçais)، فقد افترض إمكانية استخدام الموحدى للمقبرة في عمليات الدفن، مستندا في ذلك على مجاورة المقبرة للمسجد الموحدى بالقصبة،² وهو ما يدفعنا مرة ثانية للتحفظ على مسألة الأصل الموحدى للمقبرة مادام الباحثان معا لم يقدموا دليلا ملموسا على صحة فرضيتهما.

ومن جهة أخرى، أكد إبراهيم حركات وجود قبر الخليفة الموحدى أبي يعقوب يوسف (84-1163م) بمقبرة الأشراف السعديين،³ مع العلم أنه لا يوجد أي شاهد قبر لهذا الخليفة بالمقبرة، ولا توجد أية إشارة تاريخية تدعم هذا الخبر.

ولاشك أن الحسم في هذه القضية، يستدعي العودة إلى النصوص التاريخية المحررة في العصر الوسيط، بحثا عن أية إشارة يمكن أن نخدمنا في حل إشكالية الأصل الموحدى لمقبرة الأشراف السعديين.

وتشير المصادر إلى الشروع في بناء حومة القصبة، المسماة أيضا بتامراكتش والصالحة، منذ سنة 580 هـ/1185م،⁴ وقد تكونت حسب الإشارات المصدريّة من عدة قصور ورياض ودور سكنية خاصة بأعيان الدولة، إضافة إلى منشآت متنوعة ومؤسسات مخزنية ومقبرتين، هما مقبرة تامراكتش وجبانة الشيوخ.⁵ فهل وجدت المقبرتان معا داخل القصبة؟ وهل تتطابق إحداها مع مقبرة الأشراف السعديين؟ للإجابة عن هذا السؤال نحتاج إلى تتبع الإشارات التاريخية إلى هاتين المقبرتين للوصول إلى تحديد موقعها بدقة.

1. Pierre de Cenival, "Marrakush," in *Encyclopédie de l'Islam*, nouvelle édition (Leiden: E.J. Brill – Paris: G.-P. Maisonneuve et Larose S.A., 1991), t. VI, 582.

2. Georges Marçais, *L'Architecture Musulmane d'Occident* (Paris: Arts et Métiers graphiques, 1954), 393.

أورد عثمان عثمان إسماعيل نفس الفرضية نقلا عن جورج مارسي، ذاكرا أن بعض الإشارات توحي بأن مقبرة الأشراف السعديين كانت مكانا سابقا للدفن منذ عصر الموحدى، انظر: عثمان عثمان إسماعيل، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى (الرباط: الهلال العربية للطباعة والنشر، 1993)، ج. 5، 80.

3. إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي (الدار البيضاء: دار الرشاد الحديثة، 1987)، 314.

4. أحمد بن محمد ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، (قسم الموحدى)، تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة، منشورات الجمعية المغربية للتأليف الترجمة والنشر بالرباط، الطبعة الأولى (بيروت: دار الغرب الإسلامي - الدار البيضاء: دار الثقافة، 1985)، 174.

5. محمد رابطة الدين، مراکش زمن حكم الموحدى: جوانب من تاريخ المجال والإنسان (مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، 2008)، ج. 1، 100-101؛ كاظم المياح مشتاق، مراکش خلال عصر الموحدى: دراسة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية (دمشق: دار صفحات للنشر والتوزيع - بغداد: دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع، 2014)، 185.

وردت الإشارة إلى جبانة الشيوخ عند ابن عبد الملك المراكشي، ففي نهاية ترجمته لحياة علي بن محمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمان بن هيصم الرعيني، ذكر أنه "توفي بمراكش سحر ليلة الأربعاء الرابعة والعشرين من شهر رمضان ست وستين وستائة، ودفن عقب ظهره بجبانة الشيوخ مقاربا باب السادة أحد أبواب قصر مراكش،" كما وردت إشارة أخرى إلى المقبرة نفسها لكن دون ذكر اسمها الذي نصّ عليه ابن عبد الملك، هذه المرة عند ابن فضل الله العمري، ففي سياق وصفه لتامراكتش، ذكر أبوابها فقال عن باب السادة منها: "وهو يفضي إلى خارج مراكش، وعليه سلسلة [أما] مها ينزلون، وهنالک مقابر أكابرهم وجنائز الأعيان: في غاية حسن المباني والغراس."⁶

نستنتج من الإشارتين قرب المقبرة من أحد الأبواب الخارجية للقبة وهو باب السادة الذي يفضي إليها، وكما هو معلوم، فقد عفا الدهر عن هذا الاسم واستبدل باسم آخر هو باب القصيبة،⁸ الذي تجاوره حاليا المقبرة التي تضم ضريح عبد الرحمان السهيلي المتوفى بعد سنة واحدة⁹ من الشروع في أشغال بناء القبة، وبالتالي فجبانة الشيوخ هي نفسها المقبرة الحالية حيث يوجد ضريح السهيلي حسب المؤرخ محمد رابطة الدين، والذي ربط نشأتها بالنصف الثاني من القرن السادس الهجري.¹⁰

أما مقبرة تامراكتش، فوردت الإشارة إليها في موضعين من الذيل والتكملة لابن عبد الملك، جاءت الأولى في سياق الترجمة لعمر بن عبد الله القرشي التونسي نزيل مراكش، فقد توفي هذا الرجل سنة ثمان وتسعين وخمسةائة، ودفن بمقبرة تامراكتش داخل مراكش إزاء شيخه أبي عبد الله ابن الفخار.¹¹ أما الإشارة الثانية فجاءت ضمن ترجمة أبي عبد الله ابن الفخار، الذي توفي بمراكش سنة تسعين وخمسةائة، ودفن بجبانة تامراكتش داخل سور مراكش.¹²

6. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الخامس، القسم الأول، تحقيق إحسان عباس، سلسلة المكتبة الأندلسية: 11 (بيروت: دار الثقافة، 1965)، 369.

7. أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، "وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني مقتبس من مسالك الأبصار في ممالك الأمصار"، ورد عند المنوني محمد، ورفقات عن حضارة المرينيين، سلسلة بحوث ودراسات رقم 20، الطبعة الثالثة (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، 2000)، 562.

8. رابطة الدين، مراكش، ج. 1، 114.

9. عباس بن إبراهيم التعارجي، إظهار الكمال في تميم مناقب سبعة رجال، دراسة وتحقيق إدريس الشرواطي (الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2013)، ج. 2، 763.

10. رابطة الدين، مراكش، ج. 1، 67-118.

11. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر الثامن، القسم الأول، تقديم وتحقيق وتعليق محمد بن شريفة (الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، 1984)، 221.

12. ابن عبد الملك المراكشي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، السفر السادس، حققه وعلق عليه إحسان عباس ومحمد بن شريفة وبشار عواد معروف، سلسلة التراجع الأندلسية: 9 (تونس: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2012)، 98.

يبدو من خلال الإشارتين اقتران المقبرة بحومة تامراكشت الواقع بناؤها في العهد الموحدى، ووجودها داخل سور مراکش لا خارجه¹³ كما هو حال جبانة الشيوخ سالفه الذكر، واستخدامها على الأقل حسب الإشارات المتوفرة منذ سنة 590 هـ/1193-94م، دون استبعاد إمكانية وجودها قبل هذا التاريخ بمدة يصعب تحديدها، لهذا السبب ربط المؤرخ محمد رابطة الدين نشأتها بالنصف الثاني من القرن السادس الهجرى، لغياب إشارات تدل على الدفن بها في النصف الأول من القرن نفسه.

إذا علمنا أن جبانة الشيوخ كانت خاصة برجالات المخزن الموحدى دون الخلفاء الذين تم دفنهم بتينمل، فما الحاجة داخل حومة تامراكشت المخزنية إلى مقبرة أخرى؟ ويُستبعد وجود هذه المقبرة داخل أسوار تامراكشت، لغياب الحاجة إليها في العهد الموحدى على الأقل، أما اسم تامراكشت الذي ارتبط باسم المقبرة فربما نشأ عن علاقة الجوار بينهما دون أن تكون المقبرة بالضرورة داخل أسوار الحومة المذكورة. لهذه الأسباب وطّن محمد رابطة الدين المقبرة خارج أسوار تامراكشت وداخل أسوار مدينة مراکش، واقترح توطينها شمال شرق هذه الحومة،¹⁴ أي في الموضع الذي كانت تحتله سابقا المقبرة المعروفة بمقبرة سيدي أحمد الكامل،¹⁵ لأنه الموضع الوحيد الذي تبث استغلاله كمقبرة على الأقل خلال الحقبة المعاصرة، ولوجوده داخل أسوار المدينة وخارج السور الشمالي لتامراكشت. ومع ذلك لا نجزم بصحة هذا التوطين مادامت التحريات الأثرية لم تنجز بهذا الموضع لتؤكد أو تنفي هذه الفرضية.

المقبرة في العهد المريني

إذا كانت النصوص التاريخية السابقة قد نفت أي استخدام جنازي موحدى للموضع الذي سيتحول في العهد السعدي إلى مقبرة ملكية، فإن الأمر يختلف بالنسبة للعهد المريني. فقد ترددت الإشارة في بعض المصادر إلى قضية دفن السلطان أبي الحسن المريني في مراکش قبل نقل جثمانه إلى شالة، ثم جاءت بعض المصادر المتأخرة بتدقيقات

13. إبراهيم القادري بوتشيش، "معمار مراکش في عصري المرابطين والموحدين من خلال النصوص الأثرية الواردة في المصادر المكتوبة"، ضمن كتاب حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى (بيروت: دار الطليعة، 2006)، 124.

14. رابطة الدين، مراکش، ج. 1، 67.

15. محمد ابن المؤقت، السعادة الأبدية في التعريف بمشاهير الحضرة المراكشية، تقديم وتحقيق حسن جلاب وأحمد متفكر، الطبعة الأولى (مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، 2002)، ج. 1، 177.

في هذا المجال، مُحددة مكان الدفن الأول في الموضع الذي سَيُسمى مقبرة للسعديين. فهل وقع الدفن الأول والمؤقت للسلطان المريني بالموضع المشار إليه؟

نقل عبد الرحمان بن خلدون خبر الأزمات السياسية والطبيعية التي انتهت باستيلاء الابن أبي عنان على مملكة أبيه أبي الحسن. وقد كشف النص عن حدث الدفن المؤقت للسلطان المريني أبي الحسن بمدينة مراكش وحيثياته،¹⁶ لكنه لم يقدم للأسف أية إشارة حول موضع الدفن في المدينة، ولم يحدد المدة التي قضاها جثمان السلطان في هذا القبر الأولي، أما لسان الدين بن الخطيب، فلم ينقل خبر نقل جثمان السلطان من هنتاتة إلى شالة بالتفصيل الذي جاء به ابن خلدون.¹⁷ وعلى غرار ابن الخطيب، غابت مرحلة الدفن بمدينة مراكش لدى ابن سَمَّاك العاملي،¹⁸ وإسماعيل بن الأحمر.¹⁹ أما الناصري فقد أكد دفن أبي الحسن المريني بمراكش وراء جدار قبلة جامع المنصور²⁰ بالقصبة، في الموضع الذي به اليوم قبور الملوك الأشراف السعديين،²¹ معتمداً في ذلك على الكتابة المنقوشة على شاهد قبره بشالة.²² لكن النص المنقوش لا يُعيننا على الحسم في قضية وجود أو عدم وجود مقبرة بموضع دفن السلطان أبي الحسن، الذي لا نعلم إن كان أول من دفن بهذا الموضع، كما أننا نجعل السبب الذي دفع بالسلطان أبي عنان لاختيار هذا الموضع دون غيره لدفن والده، فهل استُخدم كمقبرة في العهد المريني؟ أم أنه كان ببساطة ملائماً دون غيره لدفن السلطان مؤقتاً دون أن يكون في الأصل مقبرة؟

16. عبد الرحمان ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (بيروت: دار الفكر، 1979)، المجلد 7، 287؛ توجد نفس الرواية عند أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية. تحقيق وتعليق محمد ماضور، سلسلة من تراثنا الإسلامي، رقم 2، الطبعة الثانية (تونس: المكتبة العتيقة، 1966)، 90.

17. لسان الدين ابن الخطيب، رقم الحلل في نظم الدول (تونس: المطبعة العمومية، 1316)، 96-97.

18. مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، حققه سهيل زكار وعبد القادر زمامة، الطبعة الأولى (الدار البيضاء: دار الرشد الحديثة، 1979)، 179.

19. إسماعيل ابن الأحمر، روضة النسر في دولة بني مرين، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، الطبعة الثالثة (الرباط: المطبعة الملكية، 2003)، 35.

20. حامد التريكي، "المساجد ووظائفها بمراكش زمن المرابطين والموحدين"، ضمن أعمال ندوة مراكش من التأسيس إلى آخر العصر الموحد، أشغال الملتقى الأول لمركز الدراسات والأبحاث حول مراكش، الطبعة الأولى (مراكش: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، ومركز الدراسات والأبحاث حول مراكش وجمعية الأطلس الكبير، 1989)، 162.

21. أحمد بن خالد الناصري، كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق أحمد الناصري، أشرف على النشر محمد حجي وإبراهيم بوطالب وأحمد التوفيق (الرباط: منشورات وزارة الثقافة والاتصال، 2001)، ج. 4، القسم الأول، 163.

22. Henri Basset et Évariste Lévi-Provençal, *Chella; une nécropole mérinide* (Paris: Emile Larose éditeur, 1923), 36; Yannik Lintz, Claire Deléry et Bulle Tuil-Leonetti, (éds.), *Le Maroc médiéval, Un empire de l'Afrique à l'Espagne* (Paris: Louvre édition, Hazan, 2014), 512.

تكمُن المفاجأة في استمرار وجود شاهد قبر رمزي للسلطان أبي الحسن المريني في مقبرة الأشراف السعديين في مراكش رغم نقل جثمانه إلى ضريحه بشالة، ويوجد هذا الشاهد المرمرى داخل القاعة ذات الكوات الثلاث، وهو يقدم صيغة مختلفة شيئاً ما عن الصياغة الواردة في الشاهد الموجود في ضريح أبي الحسن بشالة. هذا نص النقيشة:

”الحمد لله هذا أول ضريح دفن به مولانا السلطان المرحوم أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي الحسن بن مولانا السلطان المرحوم أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي سعيد بن مولانا السلطان المرحوم أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق وكانت وفاته رحمه الله في ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من شهر ربيع الأول من عام اثنين وخمسين وسبعمائة ودفن بهذا الضريح المبارك عصر يوم الأربعاء التالي لليوم المذكور ونقل إلى تربة أسلافه الكرام رحمهم الله بشالة في اليوم السادس عشر من جمادى الأولى من العام المذكور.“²³

أثار شاهد القبر هذا، نقاشاً بين مجموعة من الباحثين حول الأمر بإنجازه وزمن هذا الإنجاز، فكان الكولونيل هنري دو كاستري ممن أرجعه إلى العهد السعودي نافياً بذلك إنجازه في العهد المريني،²⁴ لكنه لم يُقم الدليل على صحة قوله، وهو ما نفاه غاستون دو فوردان، الذي لم ير أي مبرر ليقوم السلطان السعودي أحمد المنصور بإنجاز قبر رمزي لهذا السلطان المريني داخل ضريح سعودي بامتياز.²⁵

ومن جهة أخرى، لاحظ بعض الباحثين أن الشاهد من النوع الكلاسيكي، ولا وجود لأي عنصر شبه بينه وبقية الشواهد السعدية على مستوى شكل الكتابة وشكل الشاهد والنوائى الزخرفية،²⁶ فأرجع البعض تاريخ إنجازه إلى فترة نقل جثمان أبي الحسن إلى شالة أو مباشرة بعد ذلك،²⁷ في حين مال البعض إلى تأريخه بالمرحلة الأخيرة من عمر الدولة المرينية.²⁸ أما هنري باسي وليثوي بروفسال فقد استفسر عن السبب الداعي

23. Basset et Lévi-Provençal, *Chella*, 191-192; Gaston Deverdun, *Inscriptions arabes de Marrakech*. Série Les Trésors de la Bibliothèque, N° 10 (Rabat-Marrakech: Publication de l'Université Mohammed V- Agdal, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines – l'Université Cadi Ayyad, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines – 1^{ère} édition, 2011) (Réédition du texte publié par l'Institut des Hautes Etudes Marocaines en 1956), inscription n°81, 75.

24. Henri de Castries, “Le cimetière de Djama el-Mansour,” *Hespéris* VII (1927): 362.

25. Deverdun, *Inscriptions*, 76.

26. Deverdun, *Inscriptions*, 76; Basset et Lévi-Provençal, *Chella*, 193.

27. Deverdun, *Inscriptions*, 76.

28. Basset et Lévi-Provençal, *Chella*, 193.

لنقش كتابة جنائزية على شاهد قبر فارغ، مفترضين أن السبب وراء هذا الفعل هو الرغبة في حفظ ذكرى أمير مريني كان سلطاناً وولياً من أولياء الله في الآن نفسه، دعتة الخاصة بأبي الحسنات، وأطلقت عليه العامة لقب السلطان الاكحل، ونسجت حوله الأساطير، وقُدِّر له في الأخير أن يُدفن بداية في هذا الموضع قرابة شهرين، قبل نقله إلى مثواه الأخير بضريح شالة الذي شيده لنفسه قبل وفاته. كما استفسر الباحثان عن هوية الأمر بانجاز شاهد قبر أبي الحسن، ولعدم توفر أية وثيقة قد ترشدهما للإجابة، شُدِّدًا على ضرورة المعاينة الأركيولوجية لشاهد القبر، للحسم في هذه القضية.²⁹

المقبرة خلال مرحلة حكم أمراء هنتاتة

تعتبر المرحلة المتميزة بتصاعد نفوذ أمراء هنتاتة في مدينة مراكش ونواحيها، من أكثر الفترات التاريخية غموضاً، فعدا بعض الكتب الإخبارية المغربية التي نقلت لنا نُتفاً من أخبار قبيلة هنتاتة وبعض المنتسبين إليها من الشيوخ والأمراء، لا نكاد نجد خبراً لهم إلا في بعض الشهادات الإسبانية والبرتغالية المعاصرة.³⁰ فما علاقة الأسرة الهنتاتية الحاكمة بمقبرة الأشراف السعديين؟

كشفت هذه المقبرة في مطلع القرن العشرين، بعد دراسة شواهد قبورها، عن وجود قبرين في المقبرة الخارجية، خاصين بأمرين من أمراء هنتاتة هما: أبو العباس أحمد بن أبي ثابت عامر بن أبي الحسن علي بن عبد العزيز الهنتاتي، وأبو علي الناصر بن يوسف بن علي بن عبد المومن بن عبد العزيز الهنتاتي.

يتخذ شاهد قبر الأول منهما، شكل لوحة رخامية محاطة بإطار خشبي، نقشت عليها الكتابة التالية:

”بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام. هذا قبر الشاب المكرم الأمير الأسعد الحامل لكتاب الله أبي العباس أحمد بن الشيخ المعظم المرتفع الأفضل الأكمل أبي ثابت عامر بن الشيخ الجليل الماجد الأصيل المرحوم أبي الحسن علي بن عبد العزيز الهنتاتي رحمة الله عليه توفي عفا الله عنه يوم الأربعاء التاسع عشر من ربيع الآخر تسع وخمسين وثمانمئة عرفنا الله خيره.“³¹

29. Basset et Lévi-Provençal, *Chella*, 192-3.

30. مارمول كربخال، إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد زنيبر ومحمد الأخضر وأحمد التوفيق وأحمد بنجلون، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر (الرباط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1984)، ج. 1، 455.

Pierre de Cénival, “Les émirs des Hintata -rois de Marrakech-,” *Hespéris* XXIV (1937): 245.

31. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°112, 115.



الصورة 1: شاهد قبر الأمير أحمد الهنتاتي (تصوير سمير أيت أومغار)

توفي هذا الأمير الهنتاتي حسب الكتابة العربية المنقوشة على شاهد قبره سنة 859هـ/1455م، ويتضح من خلال الكتابة حسب بيير دوسينيڤال، أنه حمل لقب الأمير في حين اقتصر والده على لقب الشيخ، وهو مؤشر اعتمده هذا الباحث إلى جانب رمزية الدفن في المقبرة المتاخمة لجامع المنصور بالقصبة، للقول بأن أحمد الهنتاتي كان أول فرد من أفراد الأسرة الهنتاتية يعلن استقلاله عن السلطة المركزية المرينية في عهد آخر سلطان مريني وهو عبد الحق (842-69هـ/1421-65م).³²

32. De Cénival, "Les émirs," 251.

أما عن الأمير الثاني وهو الناصر الهنتاتي،³³ فيتخذ قبره شكل لوحة رخامية محاطة بإطار خشبي، اختفت للأسف في ظروف غامضة، ومُملء مكان النقيشة بالجبس الذي كان جديدا لما عايننا موضع الرخامة الضائعة في الأسبوع الأول من شهر فبراير 2016م. لتضيع بذلك واحدة من الشواهد المادية النادرة على المرحلة الهنتاتية في مراكش. وهذا نص النقيشة كما احتفظت لنا به الدراسات المنجزة في عهد الحماية الفرنسية:

”أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم صل الله على سيدنا ومولانا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما أين ما تكن يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرر هذا قبر الأمير الأثيل المجاهد في سبيل ربه ذي الأخلف المرضية والمآثر المحمودة السنية المو[لى الشـ]يخ أبي علي الناصر ابن يوسف ابن علي ابن عبد المؤمن ابن عبد العزيز الهنتاتي قدس الله روحه وأسكنه من الجنة فسيحه توفي رحمه الله بعد العشاء من ليلة الاثنين منتصف حجة متم عام ست وعشرين و[ت]سعم[ائة] حباه الله...بمنه وكرمه.“³⁴

مقبرة الأشرف السعديين في العهد الزيداني/السعدي

تبيّن لنا من خلال ما سبق، أن عمليات الدفن في الفضاء الذي سيصبح في القرن 16م، مقبرة خاصة بالسلطين والأمراء ورجال ونساء الدولة السعدية، بدأت منذ القرن 14م. ولعل وجود قبر سلطان مريني وأميرين هنتاتيين بالمقبرة كان مما شجع السعديين لاختيار هذه المقبرة دون غيرها. لكن، هل دُفن أوائل سلطين الدولة السعدية بهذه المقبرة؟

يخبرنا محمد الصغير الإفرائي أن الإمام محمد القائم بأمر الله بقي ”بمكانه من أفغل إلى أن توفي به عام ثلاثة وعشرين وتسعمائة [1517م]...ولما توفي السلطان أبو عبد الله القائم بالمحل المذكور من بلاد حاحة، دفن هنالك [...] ولما نقل الشيخ الجزولي على يد السلطان أبي العباس أحمد الأعرج، نقل السلطان المذكور أباه، فدفن بإزاء ضريح الشيخ الجزولي حيث هو اليوم من مراكش [...] وكان ذلك في حدود

33. انظر حول هذا الأمير الهنتاتي:

34. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°113, 116.

الثلاثين والتسعمائة [1523-24م].³⁵ لكن، لماذا اختار أحمد الأعرج دفن والده الإمام محمد القائم بأمر الله بجوار ضريح سيدي بن سليمان الجزولي؟ ولماذا لم ينقل جثمانيهما معاً إلى مقبرة القصبية؟

يؤكد لطفي بوشنتوف أن السعديين سيطروا على مدينة مراكش عبر مراحل، ففي نهاية سنة 1521م، وفي ظروف غامضة، استقر أحمد الأعرج سلمياً في المدينة وصاهر حاكمها. وفي سنة 930 هـ/1523-24م نقل إليها رفات والده والشيخ الجزولي كما ذكرنا، وعقب ذلك استغل الصّهر محمد بن الناصر بوشنتوف غياب أحمد الأعرج وأخاه عن المدينة ليثور فيها، لكنه لم يقاومها عند عودتها إليها سنة 1524م، وأخيراً اغتال الشرفاء هذا الصّهر خلال رحلة صيد سنة 1525م، ليُقتضى بذلك على الإمارة الهنتاتية بمراكش.³⁶ يتضح مما سبق، أن أحمد الأعرج لم يستطع دفن الوالد والشيخ في مقبرة القصبية، لأن هذه الأخيرة (أي القصبية) كانت ما تزال خاضعة لنفوذ الأسرة الهنتاتية، وإلا فقد كان من المفروض دفنها بالمقبرة الملكية حيث دُفن أميران من أمراء هذه الأسرة.³⁷ أما بالنسبة لشاهد قبر محمد القائم بأمر الله، فقد أكد مجموعة من الباحثين العثور عليه داخل قبة صغيرة تابعة لضريح سيدي بن سليمان الجزولي [قرب حومة رياض العروس].

تبلغ أبعاد هذا الشاهد الرخامي حسب غاستون دو فردان 26×23×246 سنتيمتر، وهو يشتمل على كتابة عربية منقوشة تتضمن آية الكرسي، دون الإشارة إلى اسم "محمد القائم بأمر الله" أو تاريخ وفاته،³⁸ وهو ما قد يدفع للاعتقاد أن شاهد القبر أنجز على عجل بعد نقل جثمان الفقيد من أفوغال إلى مراكش، أو ربما يكون شاهد قبر أعدّ مسبقاً ليُغطي قبر أحدهم دون أن يكون المقصود منه في البداية القائم بأمر الله.

يفرض علينا ما تقدم ضرورة الاحتراز وعدم التسرع في نسبة القبر للقائم بأمر

35. محمد الصغير الإفرائي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشادلي، الطبعة الأولى (الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، 1998)، 51-53.

36. لطفي بوشنتوف، العالم والسلطان؛ دراسة في انتقال الحكم ومقومات المشروعية: العهد السعدي الأول، سلسلة أطروحات ورسائل، (الدار البيضاء: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة الحسن الثاني، عين الشق، 2004)، 131، الإحالة رقم 2؛ محمد نبيل ملين، السلطان الشريف؛ الجذور الدينية والسياسية للدولة المخزنية في المغرب، ترجمة عبد الحق الزموري وعادل بن عبد الله، (الرباط: منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، 2013)، 27.

37. بوشنتوف، العالم والسلطان، 131، الإحالة رقم 2.

Gaston Deverdun, *Marrakech des origines à 1912* (Rabat: Éditions Techniques Nord-africaines, 1959), t. I, 351.

38. Samir Ait Oumghar, *Notice sur Qobour el-Achrâf (Les tombeaux des chérifs) dans le complexe de Sidi ben Soliman el-Jazouli à Marrakech*. Série les éditions limitées (Marrakech: publication de la Maison de la photographie de Marrakech, 2015), 6.

الله، ما دام الشاهد فارغا من كل إشارة تؤكد النسبة المذكورة، وإن كانت النصوص تؤكد دفن القائم بأمر الله بإزاء ضريح الشيخ الجزولي،³⁹ بالمقبرة التي تسمى بقبور الأشراف.⁴⁰ ولعل هذا ما جعل غاستون دو فردان يُعرض عن ذكر هذا القبر في كتابه المُكرّس للكتابات العربية المنقوشة بمدينة مراكش، ويُبين بشكل غير مباشر عن ترده في قبول هذه النسبة.⁴¹ من جهتنا نقترح تكثيف البحث داخل المقبرة الواقعة غرب ضريح سيدي بن سليمان الجزولي، بحثا عن قبر محمد القائم بأمر الله، فهذه المقبرة تحيط بالقبة المذكورة، وتحتوي على عدد كبير من القبور إلى جانب قبة أخرى يُجهل صاحبها، ولعل القائم بأمر الله دُفن بهذه المقبرة خارج القبة حيث يوجد شاهد القبر الموصوف أعلاه.

إلى جانب قبر محمد القائم بأمر الله، يوجد بالقبة نفسها حسب ابن المؤقت المراكشي⁴² والمؤرخين الفرنسيين هنري دو كاستري⁴³ وگاستون دو فردان،⁴⁴ قبر السلطان أحمد الأعرج. إلا أن الأعرج توفي سنة 1557م، أي بعد سيطرة السعديين على مراكش وقصبتها، فلم تم دفنه هو الآخر بهذه القبة الصغيرة، البسيطة والمتوارية خلف بعض أروقة ضريح سيدي بن سليمان الجزولي، علما أنه كان بالإمكان دفنه بمقبرة القصبية؟

يُخبرنا الإفرائي أن محمد الشيخ تغلب على أخيه أبي العباس أحمد الأعرج، "فقبض عليه وسجنه هو وأولاده بمراكش... وكان ذلك سنة ست وأربعين وتسعمائة. فلم يزل أبو العباس في حكم الثقافة، إلى أن قتلت الأتراک بالسوس الأقصى أخاه محمدا الشيخ [...] في أواخر ذي الحجة من عام أربعة وستين وتسعمائة [1557م]، فبلغ خبر مقتله لخليفته بمراكش القائد علي بن أبي بكر أزكي، فأسرع بقتل أبي العباس وأولاده ذكورا وإناثا وصبية جميعا،⁴⁵ خشية أن يخرجهم أهل مراكش من السجن فيبايعوه [...] فلما قتل

39. الإفرائي، نزهة الحادي، 52.

40. ابن المؤقت، السعادة الأبدية، ج. 2، 333.

41. Deverdun, *Inscriptions*, 68.

42. ابن المؤقت، السعادة الأبدية، ج. 2، 334.

43. Henri de Castries, "Les sept patrons de Marrakech," *Hespéris* IV(1924): 295-6.

44. Deverdun, *Inscriptions*, 68.

45. أبناء السلطان السعدي أحمد الأعرج، من الذكور هم: زيدان، الناصر، بوحسون، أحمد، سعيد، باحماد، انظر: Hyacinth Louis Rabino, "Contribution à l'histoire des Saadiens," *Archives Berbères*, volume 4, fascicule 1-2 (1919-1920): 12.

ذكر بدير دوسينيغال أن زيدان ابن أحمد الأعرج، توفي رفقة أخيه الناصر سنة 1554م، بأمر من عمهما محمد الشيخ. أما الإفرائي فقد نقل عن كتاب "زهرة الشاربخ في علم التاريخ" لعبد الرحمان الفاسي، خبر وفاة زيدان سنة 960هـ/1553م. وكلا التاريخين يؤكدان أن بعض أبناء أحمد الأعرج قضوا قبل مقتل والدهم سنة 1557م، انظر: الإفرائي، نزهة الحادي، 61.

Henri de Castries, "Généalogie des princes de la dynastie Saadienne," in *Sources inédites de l'histoire du Maroc*, première série: Dynastie Saadienne, Archives et Bibliothèques de France, Bibliographie et

أبو العباس وأولاده لم يتجاسر أحد على دفنهم، حتى دفنهم الشيخ أبو عمرو القسطلي الأندلسي المراكشي، بمقربة من ضريح الشيخ الإمام أبي عبد الله سيدي محمد بن سليمان الجزولي، وهي القبة القريبة من ضريح الإمام المذكور، وتسمى بقبور الأشراف.⁴⁶

نجد الخبر نفسه في بعض المدونات التاريخية اليهودية المغربية،⁴⁷ إلا أن الزياني جاء برواية مخالفة، فقد ذكر أن محمد الشيخ كان من أمرٍ قبل مقتله بقطع رأس أحمد الأعرج وابنه زيدان، فلما جيء برؤوسهم كان محمد الشيخ قد لفظ أنفاسه بعد اغتياله على يد حرسه التركي سنة 964هـ/1557م.⁴⁸

يتضح من خلال الخبر كما رواه الإفرائي وأخبار عائلة ابن دنان، أن الظرفية السياسية المتميزة باغتيال السلطان محمد الشيخ من قبل حرسه الأتراك في قرية أكلاك قرب تارودانت، ثم اغتيال أحمد الأعرج على يد القائد علي بن أبي بكر أزيكي خليفة محمد الشيخ بمدينة مراكش، كانت وراء عدم دفن الأعرج بمقبرة القصبه، بل ربما كان ليترك دون دفن، لولا مبادرة الشيخ القسطلي.

تمكن هنري دو كاستري ثم غاستون دو فردان من بعده خلال فترة الحماية، من مُعَاينة ووصف شاهد قبر السلطان السعدي أحمد الأعرج داخل القبة المسماة "قبور الأشراف" أو كما سماها دو فردان "قبة السعديين"، لكنه اختفى للأسف في ظروف غامضة في خمسينيات القرن العشرين، بعدما تمت مُعَاينته لآخر مرة من قبل دو فردان سنة 1946م، وهو عبارة عن لوح من الرخام الأسود، نقشت عليه الكتابة العربية التالية:⁴⁹

"بسملة -تصلية- هذا قبر الأمير المنعم السعيد مولانا أبو العباس أحمد بن محمد الشريف الحسيني برد الله ضريحه وأسكنه من الجنان فسيحه وقد استقر -ترضية- في موضع الشهداء وانتقل إلى سرير السعد ولم تزل محاسنه رحمه الله في حياته في التحيسات وفمد الصدقات متداولة شفعا ووترا وأحاديثه واحتسابه

index général, publication de la Section Historique du Maroc (Paris: Paul Geuthner, 1926), Pl. III, Hors texte.

46. الإفرائي، نزهة الحادي، 59-60.

47. أخبار من عائلة ابن دنان الغرناطية الفاسية، كتاب التواريخ، ترجمه عن العبرية عبد العزيز شهر، الطبعة الأولى (تطوان: منشورات جمعية تطاون أسمير، 2002)، 11.

48. Roger Le Tourneau, "Histoire de la dynastie sa'dide. Extrait de al-Turguman al-mu'rib 'an duwal al-Masriq wal Magrib d' Abû al Qâsim ben Ahmad ben 'Ali ben Ibrahim al-Zayyânî. Texte, traduction et notes présentés par L.Mougin et H. Hamburger," *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée* 23 (1977): 18.

49. De Castries, "Les sept patrons," 295; Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°77, 68-69.

بذلك وجه الله الكريم لآخر الدهر تتلى وتقرأ وقد عاش في آخر عمره عابدا سعيدا ومات رحمه الله مومنا شهيدا توفي -ترضية- ضحوة يوم الخميس السابع والعشرين من شهر ذي (ال)حجة متم عام أربع وستين وتسعمائة دفن في هذه القبة المكرمة التي نشأتها عليه الحرة المصونة المرضية الميمونة ابنته عائشة وأنفقت عليها من مالها تقبل الله عملها -ترضية- تصلية.“

تطرح هذه النقيشة مجموعة من الإشكالات، فهي تحدد تاريخ مقتل أحمد الأعرج في اليوم السابع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة 964هـ/1557م، علما أن الأعرج قُتِل بعد وصول خبر مقتل أخيه محمد الشيخ في اليوم السابع والعشرين⁵⁰ أو التاسع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة 964هـ/1557م،⁵¹ وهو ما يجعل مقتل الأعرج مُتزامنا أو سابقا لمقتل محمد الشيخ، وهو أمر غير مقبول إذا ما تتبعنا منطوق النصوص التاريخية. ويدفعنا بالتالي إما لتأخير تاريخ مقتل الأعرج كما اقترح دو فردان إلى أوائل شهر محرم سنة 965هـ/1557م،⁵² أو تصديق التاريخ المُقدم في شاهد قبر الأعرج، والتشكيك في ضبط الإفرائي لتاريخ مقتل محمد الشيخ، الذي سيكون في هذه الحالة قبل السابع والعشرين من شهر ذي الحجة،⁵³ وهو ما يتنافى مع المنصوص عليه في اللوحة الرخامية التذكارية الخاصة بمحمد الشيخ في ضريح الأشراف السعديين بمراكش.

إلى جانب ما تقدم، تؤكد الكتابة العربية المنقوشة، إنشاء السيدة عائشة بنت أحمد الأعرج للقبة حيث يوجد قبر والدها والقبر المُختلف حوله لجدّها محمد القائم بأمر الله، وهو ما ينفي صحة الخبر الذي ساقه الإفرائي حول قتل جميع بنات أحمد الأعرج،⁵⁴ إلا إن

50. هذا هو التاريخ الذي تقدمه اللوحة الرخامية التذكارية الخاصة بمحمد الشيخ في ضريح الأشراف السعديين بمراكش، انظر:

Deverduin, *Inscriptions*, inscription n°85, 83; Gabriel-Rousseau et Félix Arin, *Le mausolée des Princes Sa'diens à Marrakech* (Paris: Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1925), inscription n°26, 32-33.

51. الإفرائي، نزهة الحادي، 95؛ محمد القبلي (إشراف وتقديم)، كرونولوجيا تاريخ المغرب من عصور ما قبل التاريخ إلى نهاية القرن العشرين (الرباط: منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، 2012)، 81.

52. Deverduin, *Inscriptions*, 70.

نسجل هنا تعارضا بين الكتابة العربية المنقوشة على شاهد قبر أحمد الأعرج، والكتابة العربية المنقوشة على اللوحة الرخامية التذكارية الخاصة بمحمد الشيخ في ضريح الأشراف السعديين بمراكش، فالأولى تذكر أن يوم السابع والعشرين من شهر ذي الحجة سنة أربعة وستين وتسعمائة كان يوم خميس، في حين تذكر الثانية أنه كان يوم أربعاء.

53. قدّم المؤرخ المجهول تاريخا مُخالفا لمقتل محمد الشيخ، فقد ذكر أنه قتل "عام ثلاثة وستين وتسعمائة بحال تقريب"، وهو تاريخ بعيد جدا عن تاريخ مقتل أحمد الأعرج، ولهذا السبب نستبعده، انظر: مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدراتية. تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، الطبعة الأولى (مراكش: منشورات عيون المقالات، 1994)، 33.

54. الإفرائي، نزهة الحادي، 60.

كانت هذه البنت موجودة خارج مدينة مراكش أثناء حدوث عملية الاغتيال، ومع ذلك سيكون الإفرائي في كلتا الحالتين مخطأ في تعميمه.

نستنتج من خلال ما سبق، أن أول مقبرة خاصة بالسلطين والأمراء السعديين في مراكش كانت بضرير سيدي بن سليمان الجزولي حيث جرى دفن محمد القائم بأمر الله وأحمد الأعرج، لهذا السبب سُميت القبة التي أمرت بإنشائها السيدة عائشة بنت أحمد الأعرج، بقبور الأشراف لضمها رفات أوائل الأشراف السعديين أو على الأقل لرفات الأعرج وأبنائه.

إذا تركنا جانبا كُلا من محمد القائم بأمر الله وأحمد الأعرج اللذين جرى دفنهما بجوار ضرير سيدي بن سليمان الجزولي في ظروف تاريخية خاصة، فسنجد أن محمد الشيخ (1517-1557م) كان أول من دُفن من السعديين بمقبرة الأشراف السعديين في قسبة مراكش. فقد تحين صالح الكاهية ومُرافقه من الأتراك الفرصة لاغتيال السلطان محمد الشيخ، فلما كان هذا الأخير في حركته بالأطلس الكبير بموضع يقال له أكلاك (أو أجلاج)، ”دخلوا عليه خباءه على حين غفلة من العسس، فضربوا رأسه بشاقور [...] وكان قتل السلطان أبي عبد الله رحمه الله تعالى يوم الأربعاء التاسع والعشرين من ذي الحجة عام أربعة وستين وتسعمائة. وحمل إلى مراكش، فدفن قبله جامع المنصور في قبور الأشراف هنالك، وقبره مشهور.“⁵⁵

يؤكد النص حَدَثَ نقل جثمان السلطان السعدي محمد الشيخ من أكلاك حيث دُفن بدائيةً بعد اغتياله، إلى قبور الأشراف السعديين بالقسبة، ولعل الإفرائي نقل بعض تفاصيل هذا الخبر من الكتابة العربية المنقوشة على لوحة رخامية تذكارية وُضعت بقاعة الإثنا عشر عمودا في ضرير الأشراف السعديين، وهذا بعض ما جاء فيها:

”بسم الله الرحمان الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله أعوذ بالله من الشيطان الرجيم [...] هذا ضرير مولانا الإمام [...] أبي عبد الله محمد الشيخ [...] وكان مولده رضي الله عنه في عام ستة وتسعين وثمانائة وبويع البيعة العامة من بعد التثام كلمة الإسلام وتطهير الأرضين من أدران الحيف والآثام عام ستة وخمسين وتسعمائة بفاس المحروسة دار الملك المريني ومجمع أولي الحل والعقد حينئذ بالقطر المغربي وقضى رضي الله عنه شهيدا بفسطاطه الكريم وملحده الأول

55. الإفرائي، نزهة الحادي، 94-95. انظر كذلك حول هذه الواقعة: ديبغو دي طوريس، تاريخ الشرفاء، ترجمه إلى العربية محمد حجي ومحمد الأخضر (الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع المدارس، 1988)، 220-1.

بأجلجال لزوال يوم الأربعاء السابع والعشرين من ذي حجة الحرام خاتم أربعة وستين ثم نقل من مدفنه المقدس إلى لحده المكرم بالروضة المشرفة قبلة المسجد الجامع من قصبته المحروسة بالحضرة العلية يوم الخميس الحادي وعشرين من يوم استشهاده تاسع عشر المحرم الحرام فاتح خمسة وستين وتسعمائة فسيحان الله الملك الحق المبين وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.⁵⁶

لقد أثبت أحمد بن محمد المقري (القرن XVII) في كتابه روضة الآس نصّ هذه الكتابة العربية المنقوشة باختلافات بسيطة، وذكر أنها كُتبت على مرمر بالذهب تجاه قبر أمير المؤمنين المهدي بالله،⁵⁷ كما انفرد بذكر كاتب هذه السُّطور المنقوشة على اللوحة الرخامية، وهو وزير القلم الأعلى أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي (توفي سنة 1031 هـ) صاحب كتاب مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا.

تؤكد هذه الكتابة العربية المنقوشة، أن السلطان محمد الشيخ توفي ودُفن بأكلاكل/أجلجال يوم الأربعاء [؟] 27 من شهر ذي الحجة سنة 964 هـ/1557م، وبقي مدفونا هناك، حتى تم الإعداد لنقل جثمانه إلى "الرَّوْضَة المُشْرِفَة" الملاصقة لجدار قبلة جامع المنصور بقصبة مراكش، يوم الخميس 19 محرم سنة 965 هـ/1557م. أما عن اللوحة الرخامية التذكارية، فقد وقع إنجازها في عهد السلطان أحمد المنصور بالله (1578-1603م) حسب المؤرخ غاستون دو فردان، انطلاقاً من ملاحظته التشابه الفني الواضح بينها وبين اللوحة الرخامية التذكارية الخاصة بلالة مسعودة أم السلطان أحمد المنصور بالله.⁵⁸ ومما يدعم ذلك شهادة أحمد بن القاضي، الذي أكد تعهّد السلطان أحمد المنصور بالله "لقبر والده كل جمعة [...] وقيامه بضريحه المكرّم وإجراؤه عليه الصدقات والأموال الطائلة عليه ليلاً ونهاراً، لا يُمسكون عن ذلك، ومن لجأ إليه من خائف أو غيره أمن من خوفه، ما لم يكن في حقه الله عز وجل، ومن قيامه بضريحه، اقتراحه على كاتبه الأبيات التي تقدم ذكرها، التي تنقش على قبريته."⁵⁹

56. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°85, 83; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°26, 32-33.

57. أحمد بن محمد المقري، روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس (الرباط: المطبعة الملكية، 1983)، 151.

58. Deverdun, *Inscriptions*, 86.

59. أحمد ابن القاضي، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، دراسة وتحقيق محمد رزوق (الرباط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، 1986)، ج. 1، 519-20.

أما عن الكتابة العربية المنقوشة على شاهد قبره في قبة لالة مسعودة،⁶⁰ فقد أنشأ نَصَّهَا أيضا أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي بطلب من السلطان أحمد المنصور بالله. فقد ذكر المقرئ في روضته، أن الفشتالي ”أنشده قطعة اخترعها لتكتب على قبر أمير المؤمنين المهدي بالله رضي الله عنه.“⁶¹

وانطلاقا من سنة 965 هـ/1557م، بدأت عمليات دفن السلاطين والأمراء والأميرات ورجالات ونساء الدولة السعدية بالرَّوْضَةِ المُلَاصِقَةِ لجدار قبلة جامع المنصور بقصبة مراكش حسب الكتابات الشاهدية المتوفرة. فمباشرة بعد نقل جثمان محمد الشيخ إلى هذه الروضة بتاريخ 19 محرم من سنة 965 هـ/1557م، تم دفن السيدة ”الزهرا بنت الشيخ رحوا بن شحموط العمراني“ أحد شيوخ بلاد دكالة، بهذه المقبرة (تحديدا بالمقبرة الخارجية) بعدما وافتها المنية ليلة الأحد 13 صفر من سنة 965 هـ/1557م،⁶² أي بعد شهر واحد من نقل جثمان السلطان محمد الشيخ من أكلاكل إلى مراكش. وهذه ”الزهرا“ هي زوجة الأمير السعدي عبد القادر بن السلطان محمد الشيخ المهدي بالله.⁶³

وفي سنة 972 هـ/1564-65م [زمن حكم السلطان عبد الله الغالب]، نُقِلَ إلى المقبرة جثمان ”عبد الإله“، أحد أبناء محمد الشيخ، فُدِّنَ بالمحل الذي ستشيدُ فوقه فيما بعد، زمن حكم السلطان أحمد المنصور بالله قبة الإثنا عشر عمودا. وقد حاول غاستون دوڤردان تخمين عُمُرِ الابن ”عبد الإله“ لما وافته المنية، فقَدَّم سنة وفاة محمد الشيخ كسنة لولادة الابن عبد الإله، وبعملية طرح بسيطة، استنتج أن الابن توفي عن عمر سبع أو ثمان سنوات، وليؤكد قوله هذا، قَدَّمَ أبعاد شاهد القبر الرخامي الذي لا يتجاوز 0.85 متر طولاً، و0.34 متر عرضاً.⁶⁴ إذا كانت أبعاد شاهد القبر تؤكد بالفعل صِغَرِ سِنِّ عبد الإله لما وافته المنية، فلا شيء يؤكد ولادته في السنة نفسها التي قضى فيها والده محمد الشيخ. وقد تلتته في الدفن، أميرة سعدية هي فاطمة الزهراء بنت محمد الشيخ، أما بالنسبة لشاهد قبرها فهو موجود بقاعة الإثنا عشر عمودا التي لم تكن قد شيدت آنذاك، ويتكون

60. Deverduin, *Inscriptions*, inscription n°123, 125-126; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°41, 53.

61. المقرئ، روضة الآس، 150.

62. Deverduin, *Inscriptions*, inscription n°114, 117; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°35, 45.

63. الحاج موسى عوني، فن المنقوشات الكتابية في الغرب الإسلامي: مدونة الكتابات المنقوشة السعدية والعلوية بمدينة فاس، دراسة تاريخية وفنية، سلسلة أبحاث رقم 2 (الدار البيضاء: منشورات مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود للدراسات الإسلامية و العلوم الإنسانية، 2010)، 166.

64. Deverduin, *Inscriptions*, inscription n°86, 86-87.

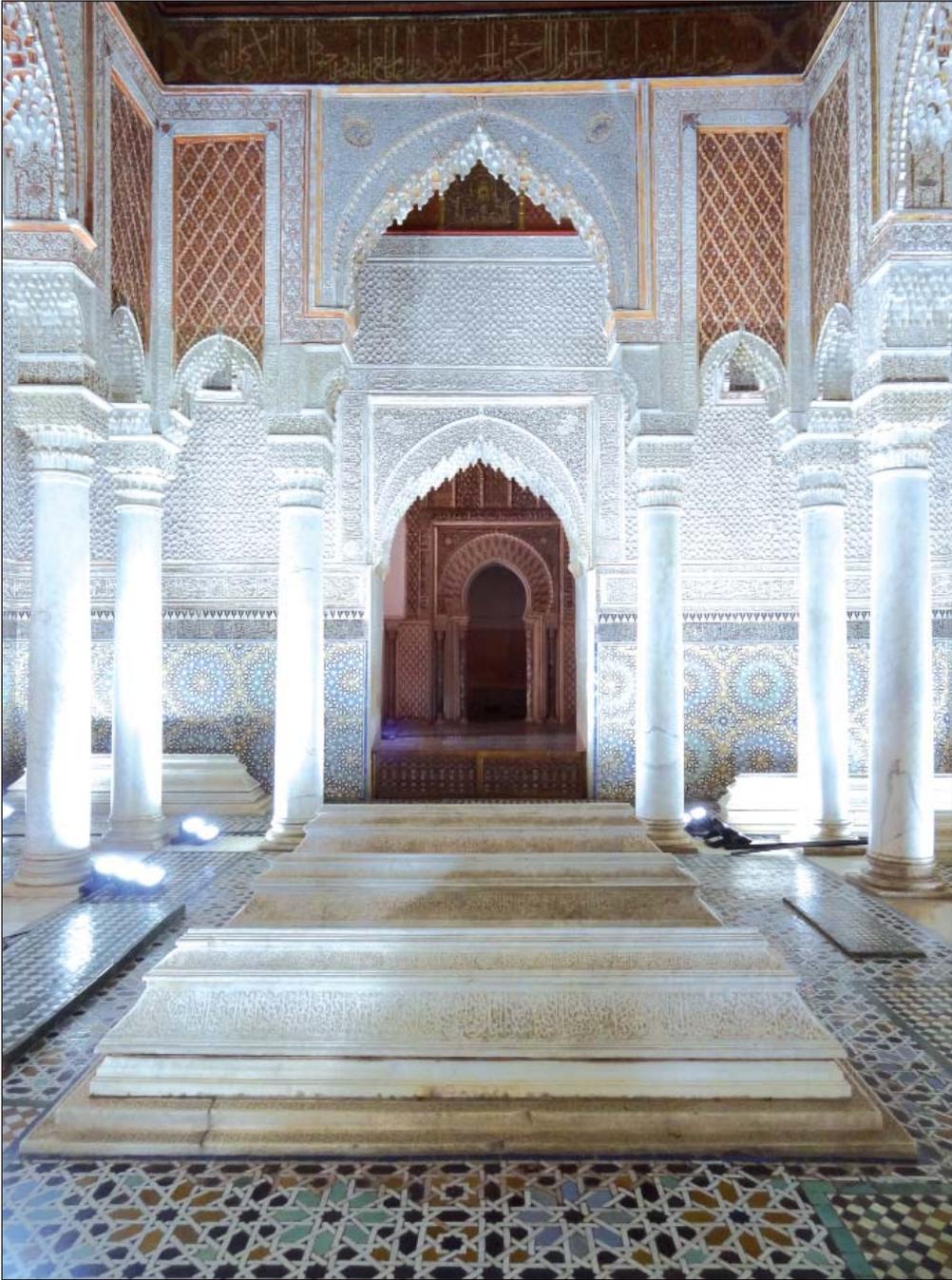
من آيات قرآنية تليها أربعة أبيات شعرية تتضمن اسم هذه السيدة واسم والدها، وتنتهي بتاريخ وفاتها على طريقة حساب الجُمَّل.⁶⁵ فهل المقصود بمحمد الشيخ هنا السلطان محمد الشيخ المهدي بالله أو السلطان محمد الشيخ الأصغر؟ يؤكد غاستون دو فردان أن المقصود ههنا هو محمد الشيخ المهدي بالله بن عبد الله محمد القائم بأمر الله، ويستدل على ذلك بورود اسم لالة فاطمة عند ديبغو دي طوريس كبنت للسلطان محمد الشيخ،⁶⁶ ومُحَلِّ قصر من قصور القصبية بمراكش لاسم "قصر لالة فاطمة أخت الملك" في التصميم البرتغالي المؤرخ بسنة 1585م،⁶⁷ وهو ما جعل دو فردان يرفض رفضاً باتاً إرجاع شاهد قبر فاطمة الزهراء إلى ما قبل سنة 1585م، وإن كان تاريخ الوفاة الوارد في آخر بيت من الأبيات الشعرية المنقوشة على شاهد قبرها يقدم بحساب الجمل سنة 975هـ/1567-68م، وهو ما يوافق فترة حُكم السلطان عبد الله الغالب بالله. لكن أليس هناك فرق بين اسم فاطمة الزهراء الوارد في الكتابة الشاهدية واسم فاطمة المذكور عند طوريس وفي التصميم البرتغالي؟ ولماذا لا نفترض حفاظ القصر على اسم مالكتها الأصلية على الرغم من مرور عدة سنوات على وفاتها؟ بل لم لا نفترض حمل القصر لاسم أميرة أخرى غير تلك التي ذكرها طوريس؟ ولماذا نشكك في تاريخ الوفاة المذكور في الكتابة الشاهدية؟ يبدو أن رغبة دو فردان في المطابقة بين فاطمة الزهراء وفاطمة بنت محمد الشيخ وفاطمة صاحبة القصر، جعلته يتعسف في تأويل المعطيات، على الرغم من ضعف القرائن التاريخية التي تقدم بها.

وتمت موازاة الثرى بالمقبرة بعد ذلك، حسب المؤرخ غاستون دو فردان، المزوار "السعدي" علي بن منصور بن محمد بن أحمد بن العباس بن أحمد بن لزرق الزجاني، إلا أن تاريخ وفاة هذا المزوار كما قدمها دو فردان في ترجمته الفرنسية لنص الكتابة العربية المنقوشة على شاهد القبر، يختلف تمام الاختلاف عن التاريخ المذكور في النص العربي لشاهد القبر، وهو ما يؤكد وقوع خلط عند دو فردان إما على مستوى النص العربي أو الترجمة الفرنسية. ففي النص العربي نجد أن المزوار علي بن منصور توفي سنة "تسع وتسعين وتسعمائة" [999هـ/1591م]، أما في تقديم الكتابة العربية المنقوشة وفي نص ترجمتها إلى اللغة الفرنسية، فنجد دو فردان يذكر أنه توفي سنة 976هـ، وهو ما يوافق سنة 1568م

65. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°100, 106; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°20, 26.

66. دي طوريس، تاريخ الشرفاء، 222.

67. Henry P. Koehler, "La Kasba Saadienne de Marrakech d'après un plan manuscrit de 1585," *Hespéris* XXVII (1940): 10.



الصورة 2: قاعة الاثنا عشر عمودا بمقبرة السعديين (تصوير سمير أيت أومغار)



الصورة 3: قاعة الاثنا عشر عمودا بمقبرة السعديين من زاوية مختلفة (تصوير سمير أيت أومغار)

حسب نص الترجمة الفرنسية، وسنة 1569م حسب العنوان الذي وضعه دوفردان لنص الكتابة العربية المنقوشة في الصفحة نفسها.⁶⁸ ولسوء الحظ لم يكن بالإمكان مقارنة نص الكتابة العربية المنقوشة مع ما ورد عند "غابرييل روسو" و"فليكس أران" سنة 1925م، فشهد القبر لم يقع الكشف عنه إلا سنة 1952م من قبل مفتشية المباني التاريخية، وبالتالي فقد كان غاستون دوفردان أول من قام بنشر نص الكتابة العربية المنقوشة على شاهد القبر المكتشف. لهذا السبب قمنا بزيارة مقبرة الأشراف السعديين، لمعاينة النص العربي المنقوش على شاهد القبر، فاكتشفنا أن غاستون دوفردان أخطأ في نقله للسنة الواردة في النقيشة، فالزوار علي بن منصور لم يفارق الحياة سنة 999هـ/1591م كما جاء في النص العربي عند دوفردان، ولم يفارقها أيضا سنة 976هـ/1568م كما جاء في الترجمة الفرنسية لنص الكتابة العربية المنقوشة، بل توفي سنة تسع وسبعين وتسعمائة [979هـ/1572م] حسب نص الكتابة المنقوشة على شاهد قبره بالمقبرة الخارجية.

وفي سنة 1569م، دُفن بالمقبرة أيضا، داخل قبة لالة مسعودة، أحد أبناء محمد الشيخ، وهو "الأمير المقدس المنعم مولانا أبي علي منصور"، بعدما وافته المنية يوم الثلاثاء 26 محرم فاتح عام 977هـ/1569م.⁶⁹ وهو ابن لم يرد ضمن اللائحة التي ساقها الإفرائي لأبناء السلطان محمد الشيخ،⁷⁰ كما أن ديبغو دي توريس الذي حاول الإحاطة بأسماء كل أبناء محمد الشيخ، فاته ذكر هذا الأمير.⁷¹ إلا أن أبي القاسم الزباني، نقل خبر وفاة هذا الأمير، وذكر أن منصور بن المهدي وأخ الغالب بالله، تميز بتقواه وزهده وتقربه من العلماء وإكرامه لهم، وكانت وفاته سنة 979هـ/1571-72م،⁷² وهو ما يتعارض مع منطوق الكتابة العربية المنقوشة على شاهد قبره.

بعد انصرام أربع سنوات على دفن هذا الأمير بمقبرة الأشراف السعديين، توفي السلطان السعدي عبد الله الغالب بالله سنة 981هـ/1574م ليُدفن بدوره بمقبرة الأسرة السعدية. لكن هل دُفن فقط سبعة أشخاص بالمقبرة خلال الفترة الممتدة ما بين سنتي

68. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°115, 118.

69. Deverdun, inscription n°124, 128.

70. الإفرائي، زهة الحادي، 84.

71. ذكر ديبغو دي توريس، أن محمد الشيخ كان له "أحد عشر" ولدا بين الذكور والإناث، هم: محمد الحران، عبد القادر، عبد الله، لالة مريم، عبد المومن، ملوك، لالة حيا، لالة فاطمة، عبد الرحمان، عثمان، أحمد، انظر: دي توريس، تاريخ الشرفاء، 222.

72. Le Tourneau, "Histoire," 20.

965هـ/1557م و981هـ/1574م، أي طيلة سبع عشرة سنة؟ نستبعد هذا، فالمدة طويلة جدا ولا تتناسب مع ثلاث وفيات فقط، كما أن القصة كانت مكان تجمع قصور ودور أفراد الأسرة الحاكمة والموظفين المُلَازمين لها زمن حكم السعديين،⁷³ وبالتالي فقد كان من المفروض دفن كل فرد من هؤلاء بعد وفاتهم في المقبرة الملكية لا خارجها.

يتبين من زيارة مقبرة الأشراف السعديين، أن قبورا كثيرة قد أعدت بشكل بسيط سواء في المقبرة الخارجية أو داخل قاعات الدفن، فلم يقع تزويدها بشاهد قبر رخامي، بل كُسيت فقط بقطع الزليج الملون لتشكّل لوحة فسيفسائية مستطيلة تغطي موضع القبر، دون أن تحمل أية إشارة لاسم الشخص المتوفى أو تاريخ وفاته على الأقل. لكن من خلال مقارنة شكل ولون الزليج المستعمل في كسوة بعض من هذه القبور، مع الزليج المستعمل في زخرفة جدران وأرضيات قاعات الدفن السعدية بالمقبرة، نستنتج أن بعضا من هذه القبور البسيطة لا يمكن أن تكون إلا سعديّة، لكنها تبقى للأسف مجهولة الهوية ولا يمكن تأريخها إلا في حال استخدام التكنولوجيا الحديثة.

يُضاف إلى هذه القبور البسيطة المجهولة الهوية، قبور حظيت كغيرها بشاهد قبر رخامي، لكن الكتابة العربية المنقوشة عليها لم تحتو إلا على آيات قرآنية أو أشعار ترثي الشخص المتوفى،⁷⁴ دون أن تذكر اسم الشخص المتوفى أو صفته أو تاريخ وفاته. ولهذا السبب اقتصرنا في التأريخ لعلميات الدفن بالمقبرة، على القبور المتوفرة على كتابات عربية منقوشة تشير لاسم المتوفى وتاريخ وفاته أو أحدهما على الأقل.

وقد سبق الذكر بأن السلطان السعدي عبد الله الغالب بالله قد توفي سنة 981هـ/1574م، ثم جرى دفنه بالقبة المسماة قبة لالة مسعودة، وجُعل على قبره شاهد رخامي احتوى على أبيات شعرية،⁷⁵ ذكر المقرئ أنها ليست ”من كلام الكاتب الفشتالي، بل من نظم بعض كتّاب المولى عبد الله أمير المؤمنين،“⁷⁶ وهؤلاء الكتاب هم: محمد بن

73. De Cenival, "Marrakush," 581; Koehler, "La Kasba," 1; Deverdun, *Marrakech*, t. I, 384-412; Quentin Wilbaux, *La médina de Marrakech: Formation des espaces urbains d'une ancienne capitale du Maroc* (Paris: l'Harmattan, 2001), 272.

ملين، السلطان الشريف، 238.

74. انظر على سبيل المثال الكتابات العربية المنقوشة التالية:

Deverdun, *Inscriptions*, inscriptions n°101, 119 bis, 133 bis, 133 ter.

75. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°125, 128-9; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°40, 52.

76. المقرئ، روضة الآس، 154.

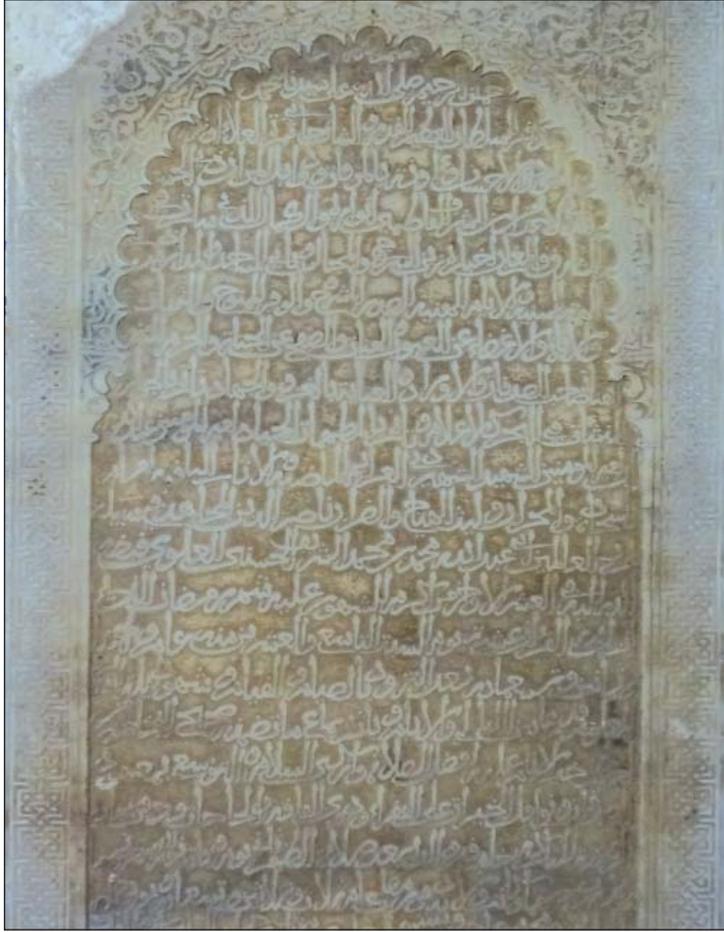
عبد الرحمان السجلماسي، ومحمد بن أحمد بن عيسى التملي وآخرون لم يذكر الإفرائي أسماءهم.⁷⁷

عدا هذا الشاهد الموجود بقبة لالة مسعودة، توجد لوحة رخامية تذكارية خاصة بالسلطان عبد الله الغالب بالله، أُلصقت بأحد جدران الكُوَّة الوُسْطَى من الكُوَّات الثلاث في القاعة التي يسميها دو فردان "قبة أبي الحسن المريني"، وذلك على شاكلة اللوحة التذكارية الخاصة بالسلطان محمد الشيخ. وهذا طرف من نص الكتابة العربية المنقوشة عليها:

"بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد هذا قبر السلطان العظيم القدر والشأن [...] أمير المؤمنين عبد الله ابن أمير المؤمنين الشهيد الشهير ذي العزائم الماضية والآثار الباقية إمام السجادة والمحراب وليث الهياج والضارب ناصر الدين المجاهد في سبيل رب العالمين أبي عبد الله محمد بن محمد الشريف الحسن العلووي قبضه الله إليه في العشر الأواخر من أكرم الشهور عليه شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن عشية يوم السبت التاسع والعشرين منه عام واحد وثمانين وتسعمائة بعد التزود بالصيام والقيام وشهود ليلة القدر المعلوم قدرها بين الليالي والأيام وبأثر سماع ما تضمنه صحيح البخاري من أحاديث خير الأنام عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام والتوسيع بمعهود الصدقات ونوافل الخيرات على الفقراء وذوي الفاقة والحاجات ودفن بهذه الروضة المباركة خلف قبر والده بعد صلاة الظهر ثاني يوم وفاته نور الله ضريحيهما وقدر روحيهما وكانت ولادته في رمضان عام ثلاث وثلاثين وتسعمائة وبُوع له بالخلافة في محرم عام خمسة وستين وتسعمائة بعد موت أبيه رحم الله السلف وبارك في الخلف."⁷⁸

77. الإفرائي، نزهة الحادي، 4-113.

78. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°82, 77; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°29, 38.



الصورة 4: اللوحة الرخامية التذكارية الخاصة بالسلطان عبد الله الغالب بالله
(تصوير سمير أيت أومغار)

ومن المثير للانتباه، أن نص الكتابة المنقوشة على هذه اللوحة التذكارية، قام بكتابته رئيس الكُتّاب أو وزير القلم الأعلى أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي، الذي سبق وذكرنا أنه تولى إنشاء نص الكتابة المنقوشة على اللوحة الرخامية التذكارية الخاصة بمحمد الشيخ، وكذا نظم الأبيات الشعرية المنقوشة على شاهد قبره، وهو ما يؤكد الدور الكبير الذي اضطلع به الفشتالي في كتابة نصوص بعض شواهد القبور إثر وفاة أصحابها من السلاطين، ومَرَدُّ ذلك تميزه في صناعة الإنشاء، وتقديمه على غيره في تجبير الرسائل إلى الملوك والعلماء.⁷⁹

79. المريني، شعر عبد العزيز الفشتالي 102؛ المقري، روضة الآس، 112.

عدا ذلك، تقدم هذه اللوحة التذكارية مجموعة من المعطيات التاريخية حول السلطان عبد الله الغالب بالله، فهي تذكر أن تاريخ ولادته كان في رمضان سنة 933هـ/1527م، وهو تاريخ أدق من ذاك الذي قدمه الإفرائي.⁸⁰ أما بالنسبة لتاريخ الوفاة، فهو يوم السبت 29 رمضان 981هـ/1574م، خلافا لما جاء عند الإفرائي،⁸¹ وأحمد ابن القاضي،⁸² ومحمد بن الطيب القادري،⁸³ والناصري.⁸⁴

بعد دفن السلطان عبد الله الغالب بالله، استقبلت المقبرة سنة 986هـ/1579م جثمان أحد القواد الأندلسيين في الجيش السعودي،⁸⁵ وقد جرى دفنه في الموضع الذي ستشيد به قاعة الإثنا عشر عمودا. وكما هو معلوم، فقد وفد عدد كبير من الأندلسيين على مدينة مراكش خلال فترة حكم السلطان عبد الله الغالب بالله (1557-74م)، بعدما تمكن من إقناع السلطات الإسبانية بطرد آلاف الأندلسيين إلى المغرب، للاستفادة من خبرتهم في المجال الاقتصادي والثقافي والعسكري.⁸⁶

لكن ماذا عن جثمان السلطان محمد المتوكل على الله (1574-76م)، وجثمان السلطان عبد الملك المعتصم بالله (1576-78م)؟ لماذا لم يقع ذكر شاهدي قبريهما في دراسات "كابرييل روسو" و"فليكس أران" ثم "كاستون دووردان"، علما أنهما توفيا معا سنة 986هـ/1578م، أي في فترة تتوسط وفاة السلطان عبد الله الغالب بالله سنة 981هـ/1574م، ووفاة القائد الأندلسي أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الملولي الأندلسي الغرناطي سنة 986هـ/1579م؟

تخبرنا المصادر أن السلطان محمد المتوكل على الله، توفي غريقا في معركة وادي المخازن سنة 986هـ/1578م، فأخرجه العَوَّامُونَ من وادي المخازن "ودفنت جثته ودُفن

80. الإفرائي، نزهة الحادي، 97.

81. نفسه، 115.

82. ابن القاضي، المنتقى المقصور، القسم الثاني، 418؛ المكناسي أحمد ابن القاضي، درة الحجال في غرة أساء الرجال. اعتنى بنشره وتصحيحه عن بعض النسخ المحفوظة بالمغرب ي. س. علوش (الرباط: منشورات معهد العلوم العليا المغربية، ج. 5، 1936)، القسم الثاني، 343.

83. محمد بن الطيب القادري، نشر المئاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق، سلسلة التراجم رقم 3 (الرباط: مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، 1977)، ج. 1، 366.

84. محمد القبلي (إشراف وتقديم)، كرونولوجيا، 83؛ الناصري، كتاب الاستقصا، ج. 5، القسم الأول، 58.

85. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°87, 87-88; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°24, 30.

86. ملين، السلطان الشريف، 46.

من مات ممن كان معه من عصابة المسلمين ودُفن سلطان النصارى [مَلِكِ الْبُرْتِغَالِ دُومِ سِبِسْتِيَاو Dom Sebastião] بموضع مُعَيَّن ليعرف عند الاحتياج إليه.⁸⁷

ويتبين من نص الإخباري المجهول، أن عملية دفن محمد المتوكل على الله قد تمت في موضع لم يقع تحديده لأنه ظل طي الكتمان، ولم تتسرب أية أخبار عنه من حاشية السلطان أحمد المنصور بالله ومن تولى عملية الدفن. وهو ما انعكس على المصادر الإخبارية التي تناقلت خبر الطواف بجلد المتوكل على الله محشوا بالتبن، دون أن تقدم أية إفادة عن مكان دفنه.

أما السلطان عبد الملك المعتصم بالله، فقد توفي مَسْمُوماً في معركة وادي المخزن، مُنْسَلَخَ جمادى الأولى سنة 986هـ/1578م، فحُمِلَ بعد ذلك إلى مراکش ليُقبَر بها،⁸⁸ وانفرد الباحث إبراهيم حركات في هذا الصدد بخبر مفاده أن رُفات المعتصم دُفِنَ في مكان ما باتجاه تطوان، قبل نقله إلى مراکش.⁸⁹ إلا أن السموأل بن دنان، ذكر في كتاب التواريخ، أن مولاي عبد الملك مات ”وجاءوا به إلى هنا ودفنوه.“⁹⁰ ويقصد بـ ”هنا“ مدينة فاس دون ريب، وهو ما أكده الإخباري المجهول الذي ذكر أن السلطان أحمد المنصور بالله ”ارتحل وجدَّ السير إلى فاس ودخل فاسا الجديد ودفن مولاي عبد الملك بالقلة.“⁹¹

بعودتنا إلى ذكر شواهد القبور المعروفة بمقبرة الأشراف السعديين، نجد بعد القائد الأندلسي أبي عبد الله محمد بن علي بن يوسف الملولي الأندلسي الغرناطي المتوفى سنة 986هـ/1579م، شاهد قبر آخر بقبة لالة مسعودة، لوالدة الأميرة لالة صفية⁹² بنت

87. مجهول، تاريخ، 64. انظر كذلك: الإفرائي، نزهة الحادي، 142؛ أحبار من عائلة ابن دنان الغرناطية الفاسية، كتاب التواريخ، 15؛ القادري، نشر الثاني ج. 1، 370؛ الناصري، كتاب الاستقصا، ج. 5، القسم الأول، 84؛ بيرتي بيير، معركة وادي المخازن، تعريب محمد بن عبود وخديجة حركات وأحمد عمالك، الطبعة الأولى (الدار البيضاء: منشورات تانسيفت، 1991)، 38.

88. الإفرائي، نزهة الحادي، 144؛ ابن القاضي، درة الحجال، القسم الثاني، 387؛ ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس (الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة، 1973)، القسم الثاني، 443؛ الناصري، كتاب الاستقصا، ج. 5، القسم الأول، 90.

89. حركات، السياسة والمجتمع، 73.

90. أحبار من عائلة ابن دنان، كتاب التواريخ، 15.

91. مجهول، تاريخ، 64.

92. مارست الأميرة لالة صفية بنت السلطان أحمد المنصور، نفوذا كبيرا على وسط أخيها مولاي زيدان. كما أنها توافقت مع حرس القصر من الأعلام لقتل السلطان الوليد بن زيدان بن أحمد المنصور سنة 1636م، حتى تمر السلطة لمحمد الشيخ الأصغر بن زيدان بن أحمد المنصور الذي كان قابعا بالسجن بأمر من الوليد بن زيدان، انظر: الإفرائي، نزهة الحادي، 354-5.

السلطان أحمد المنصور بالله، والتي توفيت في شهر رجب سنة 999هـ/1591م.⁹³ وبعد وفاة هذه الزوجة التي لم تذكر الكتابة العربية المنقوشة على شاهد قبرها اسمها للأسف، ستفارق الحياة بعدها بشهُور [الثلاثاء 27 محرم سنة 1000هـ/1591م] والدته السيدة مسعودة بنت الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الله بن الحسن الوزغي، وسيجري دفنها داخل القبّة التي ستحمل اسمها في الدراسات الحديثة.

على شاكلة السُلطانين محمد الشيخ وعبد الله الغالب بالله، ستُنجزُ للالة مسعودة لوحة رُخامية تذكارية إلى جانب شاهد رخامي يغطي قبرها. فقد تميزت عن غيرها من النساء المدفونات بمقبرة الأشراف السعديين، بكونها والدة السلطان أحمد المنصور بالله. ويبدو هنا جلياً التفضيل الذي حظيت به الأم مقارنة بزوجة السلطان أحمد المنصور بالله، التي لم يجعل لها زوجها لوحة رخامية تذكر مناقبها كما فعل مع والدته، بل إن شاهد قبر الزوجة جاء خالياً من اسمها ومن تلك العبارات الشعرية التي زينت شواهد قبور البعض. وفي وصف أحمد بن القاضي لعلاقة أحمد المنصور بالله بوالدته، تفسير لهذا التكريم الذي حظيت به.⁹⁴

توجد اللوحة الرخامية التذكارية الخاصة بلالة مسعودة في القبّة المسماة قبة لالة مسعودة، وقد تم إلصاقها بأحد الجدران بجوار قبرها. وهذا مقتطف من نص الكتابة العربية المنقوشة عليها:⁹⁵

”[...] هذا ضريح [...] والدة إمام الأمة مولانا الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين مولاتنا المسعودة بنت الشيخ الجليل الكبير الأصيل عين الأعيان قبائل وزجيتة الذين لهم في المغرب الذكر المشهور والصيت المذكور الشيخ أحمد بن عبد الله بن الحسن الوزجيتي الأغزي الوارزاتي توفيت قدس الله نفسها وطيب بأنفاس المغفرة والرحمى رمسها سحر ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من محرم فاتح عام ألف للهجرة الكريمة النبوية ودفنت بهذا البهو المقدس بعد صلاة الظهر من اليوم المذكور [...]“.

93. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°126, 130; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°49, 62.

94. ابن القاضي، المتقى، ج. 1، 516.

95. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°127, 131-132; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°38, 48.

تؤكد هذه الكتابة العربية المنقوشة المكانة المتميزة التي احتلتها السيدة مسعودة داخل البلاط السعدي، كما أنها توثق لجانب من أعمالها الخيرية، كتأسيس جامع حومة باب دكالة، واكتراؤها عليه من الأوقاف والجرايات وخزائن الكتب وكراسي أنواع العلوم، وبنائها قنطرة على وادي أم الربيع،⁹⁶ وقنطرة أخرى على وادي إيسيل بمراكش [رَجَّحَ دو فردان أن تكون تلك القنطرة المقابلة لباب الدباغ]،⁹⁷ كما كان لها اعتناء شديد بإصلاح السُّبُل والمساجد وديَار مَبِيَّت القوافل في الطريق وغير ذلك.⁹⁸

أما بالنسبة لنص الكتابة العربية المنقوشة على اللوحة الرخامية التذكارية الخاصة بلالة مسعودة، فقد أنشأه وزير القلم الأعلى أبو فارس عبد العزيز بن محمد الفشتالي،⁹⁹ كما فعل سابقا مع محمد الشيخ وعبد الله الغالب بالله.

إلى جانب هذه اللوحة الرخامية، أقيم شاهد رخامي على قبر لالة مسعودة، اشتمل على آيات من سورة فصلت،¹⁰⁰ دون أن يشير لإسم لالة مسعودة أو تاريخ وفتها.

بعد لالة مسعودة، سيُدفن بالمقبرة (تحديدا بالمقبرة الخارجية) شريف سعدي يُدعى عبد المهيمن توفي سنة 1002هـ/1593-94م.¹⁰¹ لم نقف للأسف على ترجمته في مصنفات التراجم السعدية، لكن يبدو من مضمون البيت الشعري الأول المنقوش على شاهد قبره أنه حفيد لأحد سلاطين أو أمراء الدولة السعدية.

وقد تلاه أحد أحفاد السلطان عبد الله الغالب بالله، وهو الأمير عبد الله بن إبراهيم الرشيد ابن السلطان عبد الله الغالب بالله. وهو أمير لم ترد أية إشارة عنه في المصادر العربية والأوروبية، وهو ما يجعل من الكتابة العربية المنقوشة على شاهد قبره الموجود بالمقبرة الخارجية الشاهد الوحيد على وجوده. والجدير بالذكر ههنا، أن دو فردان أخطأ في نقل النص العربي للكتابة المنقوشة، فقد جعل تاريخ ميلاد الأمير عبد الله بن إبراهيم الرشيد سنة "أربعة وتسعين وسبعمئة"¹⁰² وهو ما يجعله معاصرا للأمير المريني أبي زيان

96. المقرئ، روضة الآس، 63-67؛ ابن القاضي، المنتقى، ج. 1، 257؛ الإفرائي، نزهة الحادي، 146.
97. Deverdun, Marrakech, t I, 413.

98. ابن القاضي، ذرة الحجال، القسم الثاني، 406.

99. المقرئ، روضة الآس، 155.

100. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°128, 134; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°39, 51.

101. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°116, 119; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°37, 47.

102. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°117, 120.

الثاني، بدل "أربعة وتسعين وتسعمائة"¹⁰³ (994هـ/1585-86م) التي تجعل منه معاصراً في تاريخ ولادته لفترة حكم السلطان أحمد المنصور بالله وهو الصحيح. إلا أن دوڤردان أورد التاريخ الصحيح في ترجمته الفرنسية للنص العربي، وهو ما يدل على تسرب خطأ مطبعي أو ما شابه ذلك أثناء رقن الكتاب وتجهيزه للطبع.

أما عن تاريخ وفاة هذا الأمير، فإنه حسب الكتابة العربية المنقوشة، أحد أيام الخميس من شهر رمضان سنة 1005هـ/1597م، ولا ندري لماذا اقترح دوڤردان في تحويله للتقويم الهجري إلى الميلادي سنتين بدل سنة واحدة، فقد وضع مقابل السنة الهجرية المذكورة التاريخ التالي: أبريل-ماي 1596-97م!

وبعد انقضاء سنة على وفاة هذا الأمير، فارقت الحياة إحدى زوجات السلطان أحمد المنصور بالله، وهي السيدة محل بنت عمّر المرين، التي توفيت أواخر شهر محرم سنة 1007هـ/1598م،¹⁰⁴ وقد تمت مواراة جثمانها بقاعة الإثنا عشر عموداً. وتأتي وفاة هذه الزوجة بعد انقضاء حوالي ثمان سنوات على وفاة زوجة أحمد المنصور بالله، التي أنجبت الأميرة لالة صافية. ومن المثير للانتباه، أن هذه الزوجة تنتمي إلى الفرع المريني الذي وقعت إزاحته بقيام الدولة السعدية.

استقبلت المقبرة جثمان سيدة أخرى هي زهرة بنت ملوك بن عبد الصادق بن عدي، وقد كانت زوجة لمولاي الحسن بن السلطان أحمد المنصور بالله. وجرى دفنها بقبة لالة مسعودة، بعد وفاتها "ليلة الجمعة خمسة أيام من جمادى الأخير."¹⁰⁵ ويتضح من خلال التاريخ المُقدم لوفاة هذه السيدة، أن سنة الوفاة، غائبة لم يقع نقشها على شاهد القبر. لكن نص الكتابة العربية المنقوشة تقدم بعض الإشارات الممكنة استغلالها لتأريخ وفاة هذه السيدة. فالإشارة إلى اسم السلطان أحمد المنصور بالله جاءت على الشكل التالي: "مولانا أمير المؤمنين أبي العباس المنصور"، وهي صيغة خالية من دعاء الترحم الذي يلي اسم السلطان في حال وفاته، وهو ما دفع دوڤردان ونحن من بعده، لترجيح وفاة زهرة بنت ملوك أثناء فترة حكم السلطان أحمد المنصور بالله، أي ما بين 986 و1012هـ/1578 و1603م. كما أن يوم الخامس من شهر جمادى الثانية لا يُصادف يوم الجمعة، خلال فترة

103. Georges S. Colin, "Une nouvelle inscription saadienne de Marrakech," *Hespéris* XXXII (1945): 73.

104. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°88, 88; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°8, 8.

105. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°130, 135; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°42, 55.

حكم أحمد المنصور بالله، إلا أربع مرات هي سنوات 989 و997 و1005 و1007هـ، لهذا وَجِبَ اختيار سنة واحدة من هذه السنوات كسنة لوفاة زهرة بنت ملوك، وإن كان دو فردان يميل لسنة 1007هـ/1599م، نظرا لكون شاهد القبر وَجَدَ مكانه بصعوبة داخل قبة لالة مسعودة، فقد وُضِعَ بشكل مائل عند مدخل أحد أقواس القبة، وهو دليل على امتلاء القبة بالقبور وصعوبة إيجاد موضع للقبر الجديد بها، الشيء الذي يربطه دو فردان بأواخر عهد السلطان أحمد المنصور بالله.¹⁰⁶

إلى جانب زهرة بنت ملوك، نجد بقاعة الإثني عشر عمودا شاهد قبر للسيدة غُضَيْفَةَ جَدَّة المولى أبي العَبَّاسِ. ويتكون نص الكتابة العربية المنقوشة على شاهد قبرها من بيتين شعريين، لا يُشير أي منهما لتاريخ وفاتها، لكن يمكن ربطه بالقرن السادس عشر، إذا ما صَحَّتْ مُطابِقة المولى أبي العباس المذكور في النقيشة بالسلطان أبي العباس أحمد المنصور بالله، وبالتالي ستكون غُضَيْفَةَ أما للالة مسعودة أم السلطان أحمد المنصور بالله.¹⁰⁷

ويأتي بعد كل هؤلاء، شاهد قبر السلطان أحمد المنصور بالله وسط قاعة الإثني عشر عمودا. وكما هو معلوم فقد توفي أحمد المنصور بالله نتيجة مرض ألمَّ به وهو في محلته في ظهر الزاوية بظاهر فاس الجديد، ودفن حسب الإفرائي "بعد صلاة العصر من يوم الإثنين [16 ربيع الأول سنة 1012هـ/23 غشت 1603م] بفاس العُليا، ونُقل بعد ذلك إلى مراکش فدفن بها في قبور الأشراف."¹⁰⁸

ويؤكد الباحث محمد نبيل ملين أن كثيرا من الإخباريين والباحثين المعاصرين يتفقون على أن السلطان أحمد المنصور بالله توفي من جراء الطاعون الذي انتشر في المغرب سنة 1603م، لكن هناك كثيرا من الروايات المغربية والأوروبية المعاصرة، مثل شهادات العليج لويس بريتو (Luis Barreto) والعلج سيباستيان باييز (Sebastian Paez) المحفوظة في أرشيفات محاكم التفتيش بجزر الخالدات،¹⁰⁹ وأنطونيو دي صالدانيا¹¹⁰

106. Deverdun, *Inscriptions*, 135.

107. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°98, 103; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°21, 27.

108. الإفرائي، نزهة الحادي، 279-280. من جهة أخرى، ذكر أنطونيو دي صالدانيا أن وفاة أحمد المنصور كانت يوم 3 شتنبر 1604م، وهو تاريخ شاذ عن التاريخ المتواتر في المصادر العربية. انظر: أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب، تقديم وترجمة وتحقيق إبراهيم بوطالب وعثمان المنصوري ولطفي بوشستوف، إعداد النص الأصلي أنطونيو دياش فارينيا (الرباط: منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 2011)، 250.

109. Bennassar Bartolomé et Bennassar Lucile, *Les chrétiens d'Allah: L'histoire extraordinaire des renégats, XVI^{ème} et XVII^{ème} siècles*, collection "Tempus" (Paris: Perrin, 2006), 485-6.

110. دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور، 251.

والإخباري المجهول،¹¹¹ وعبد الرحمان السعدي،¹¹² تؤكد جميعها أنه قد سُمَّ من قبل زوجته عائشة بنت أبي بكر الشبانية، وذلك بتحريض من ابنها مولاي زيدان.

لم يجد التعارض طريقه فقط، لتحديد سبب وفاة السلطان أحمد المنصور بالله، بل هم أيضا قضية دفنه. فالإخباري المجهول وعبد الرحمان السعدي يؤكدان أن أحمد المنصور بالله مات في الطريق من فاس إلى مراكش، في أوساط الربيع النبوي في العام الثاني عشر بعد الألف، فكتم جودر خبر وفاته على الناس حتى بلغوا المدينة [مراكش] فدفن فيها،¹¹³ أما الإفرائي والناصرى فيؤكدان أن المنصور بالله توفي بمدينة فاس، ودفن في البداية بمقصورة الجامع الأعظم بالمدينة البيضاء، بحضور ابنه زيدان، قبل نقل جثمانه إلى مقبرة الأشراف السعديين بمراكش،¹¹⁴ وهي رواية يدعمها أيضا الإخباري المجهول،¹¹⁵ الذي سبق وأكد مقتل السلطان في الطريق إلى مراكش. فأى الروايات وجب ترجيحها؟ تصعب الإجابة عن هذا السؤال، خاصة أن الإخباري المجهول القريب من تاريخ الحدث، يُسجل الروايتين ولا يميز بينهما البتة، لكننا نميل لترجيح الرواية الثانية كما ساقها الإفرائي والناصرى والإخباري المجهول.

أما عن الكتابة العربية المنقوشة على شاهد قبر أحمد المنصور بالله، فترجح تحرير نصها على يد عبد العزيز بن محمد الفشتالي الذي أصبح كاتباً لابنه من بعده مولاي زيدان،¹¹⁶ وإن لم نجد ذكراً لهذه القصيدة في ديوان الفشتالي الذي تولت الباحثة نجاة المريني جمعه وتحقيقه،¹¹⁷ كما أنها غائبة في ما نظمه بقية الشعراء زمن حكم السلطان أحمد المنصور بالله.¹¹⁸

111. مجهول، تاريخ، 82-103.

112. عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان، وقف على طبعه هوداس (باريس: منشورات المدرسة الباريسية لتدريس الألسنة الشرقية، 1981)، 203.

113. مجهول، تاريخ، 103؛ السعدي، 203.

114. الإفرائي، نزهة الحادي، 280؛ الناصري، كتاب الاستقصا، ج. 5، القسم الأول، 201.

115. مجهول، تاريخ، 82.

116. الإفرائي، نزهة الحادي، 350.

117. المريني، شعر عبد العزيز الفشتالي.

118. نجاة المريني، الشعر المغربي في عصر المنصور السعدي، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 43 (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 1999).

وتجدر الإشارة هنا، إلى أربع ملاحظات: تتعلق الأولى باختلاف نص الأبيات في شاهد القبر¹¹⁹ اختلافا بسيطا عن الأبيات الواردة في نزهة الحادي للإفراني.¹²⁰ فهل هي اختلافات ناتجة عن قراءة خاطئة قام بها الإفراني لنص الكتابة المنقوشة على شاهد قبر أحمد المنصور بالله؟ أم أنه نقلَ النصَّ مُحَرَّفًا هكذا من مصدر لم يُفصِّح عنه؟ أم أن الشخص الذي وقع تكليفه بنقش تلك الأبيات على شاهد قبر المنصور بالله، حرَّف بعض الكلمات عن شكلها الأصلي الذي كُتبت به؟

تتجلى صحة النص المنقوش على شاهد القبر، في احتوائه على التاريخ الصحيح لوفاة السلطان أحمد المنصور بالله، فلو قبلنا الصيغة التي جاءت عند الإفراني في البيت السادس لما وجدنا نفس السنة. إذ أن القيمة الرقمية الإجمالية للبيت الأخير أي البيت السابع - حسب طريقة حساب الجُمَّل المغربي¹²¹ - هي: 1556. فلو طرحنا منها القيمة الرقمية لكلمة "تقييد" أي 524 كما جاءت عند الإفراني، لوجدنا سنة 1032هـ، وهو تاريخ خاطئ لا يتوافق وتاريخ وفاة أحمد المنصور بالله، في حين لو طرحنا منها القيمة الرقمية لكلمة "تفنيد" أي 544 كما وردت في النص المنقوش، لوجدنا سنة 1012هـ/1603م وهو تاريخ وفاة السلطان أحمد المنصور بالله.¹²²

أما الملاحظة الثانية، فتتصل بالتطابق الموجود بين شاهد قبر السلطان أحمد المنصور بالله وشاهد القبر المنسوب لزوجته عائشة بنت أبي بكر الشبانية، فهما يتضمنان معا نفس الآيات القرآنية وهي: الآيتان 34 و35 من سورة فاطر، ثم من الآية 31 إلى الآية 36 من سورة النبأ، ثم الآيتان 31 و32 من سورة النحل، ثم الآيتان 21 و22 من سورة التوبة، وهو ما دفع الباحث غاستون دو فردان للقول بأن السلطان زيدان بن أحمد المنصور بالله قد يكون وراء إعداد شاهد قبر والده أحمد المنصور بالله وشاهد القبر المنسوب لوالدته عائشة الشبانية.¹²³

119. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°89, 89; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°10, 11.

120. الإفراني، نزهة الحادي، 280.

121. يُقصد بحساب الجُمَّل التعبير عن التاريخ بواسطة كلمة أو مجموعة كلمات، إذ إن لكل حرف من حروف الأبجدية العربية ما يطابقه من قيم عددية، وبالتالي فإذا حسبت حروف الألفاظ يتم استخراج سنوات التاريخ المقصود. ويختلف حساب الجُمَّل المغربي عن نظيره المشرقي على مستوى قيمة الأحرف، انظر: عوني، فن المنقوشات، 588-9.

122. De Castries, "Le cimetière," 357-358; Deverdun, *Inscriptions*, 90.

123. Deverdun, *Marrakech*, t. I, 412.

أما الملاحظة الثالثة، فتتعلق بالتشابه الواضح بين نص الأبيات الشعرية المنقوشة على شاهد قبر أحمد المنصور بالله، والأبيات المنقوشة على شاهد قبر ابنه زيدان،¹²⁴ وهو ما يدفعنا إلى ترجيح وجود ناظم واحد للأبيات الشعرية المزينة للقبرين، أو على الأقل وجود محاكاة للأبيات الشعرية المنقوشة على شاهد قبر أحمد المنصور بالله.

وأخيراً، نلاحظ غياب لوحة رخامية خاصة بهذا السلطان الذي تولى تشييد أهم القاعات الجنائزية بمقبرة الأشراف السعديين على شاكلة محمد الشيخ وعبد الله الغالب بالله ووالدته لالة مسعودة، حيث جرى الاقتصار على نقش تلك الآيات القرآنية والأبيات الشعرية القليلة على شاهد قبره، ولم ترد الإشارة إلى أعماله ومُنجزاته كما حصل مع لالة مسعودة. فهل كان ذلك نتيجة انشغال السلطان أبي فارس بن أحمد المنصور بالله (1603-7م) الذي تمت مبايعته بمراكش، بمواجهة إخوته المطالبين بالحكم؟ أم أن مولاي زيدان الذي اقتحم المدينة سنة 1015هـ/1607م، كان وراء جرمان والده بطريقة مقصودة أو غير مقصودة، من لوحة رخامية تذكارية توثق فضائله وشمائله ومنجزاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية طيلة فترة حُكمه؟ أم أنها فقط الحروب المتوالية والمجاعات والأوبئة التي كانت وراء غياب لوحة رخامية شبيهة بمشيلاتها في المقبرة، فلربّما أتت هذه الجوانح على الحرفيين المتخصّصين في نقش الرخام؟

قد تُرَجِّحُ هذا الاحتمال الأخير، لسبب بسيط هو أن شاهد القبر الرخامي التالي الذي سيتم نقش كتابة عربية عليه بمقبرة الأشراف السعديين، يفصله عن تاريخ وفاة السلطان أحمد المنصور بالله سبع عشرة سنة، وهي مدة طويلة جداً، لم يزد خلالها أي قبر في المقبرة بشاهد رخامي، بل كسيت القبور بقطع الزليج الملون البسيط لتشكل لوحة فسيفسائية مستطيلة، لا تحمل أية كتابة تشير إلى اسم الشخص المتوفى أو تاريخ وفاته. ومما يدعم فرضية قلة الحرفيين المتخصّصين في نقش الرخام بمراكش أو انعدامهم، شهادة الاسباني "خورخي دي هنين"، الذي كان مقيماً بمدينة مراكش منذ سنة 1604م، من أجل افتتاح الأسرى الإسبان. لقد كتب هذا الشاهد في مذكراته التي قدمها للملك الإسباني فيليب الثالث سنة 1614م، أن "مراكش أصبحت شبه خالية من السكان، لأن الأهالي غادروا بيوتهم بشكل جماعي وتوجهوا إلى الجبال وذلك حتى لا يعانون المزيد من الطغيان."¹²⁵

124. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°92, 95.

الإفرائي، نزهة الحادي، 350.

125. خورخي دي هنين، وصف الممالك المغربية (1603-1613م) مذكرة خورخي دي هنين، ترجمة عبد الواحد أكيم، تقديم وتعليق توركوثيريس دي كوثنان، سلسلة ترجمات (الرباط: منشورات معهد الدراسات الإفريقية، 1997)، 4-173، 6-105.

وبعد دفن السلطان أحمد المنصور بالله بمقبرة الأشراف السعديين، سنتظر 17 سنة، ليتم نقش شاهد قبر رُخامي جديد، يخصُّ هذه المرة سيدة، هي ”الحرّة الطاهرة الأصيلة الحسنية الماجدة فاطمة بنت المرحوم الشيخ أبي بكر بن محمد بن علي بن ساسي أمراء المعقل،“ وقد قدّمت الكتابة العربية المنقوشة على شاهد قبرها في قبة لالة مسعودة، تاريخ وفاتها وتاريخ ولادتها أيضا، فقد وُلدت هذه السيدة سنة 971هـ/1563-64م، وتوفيت في ربيع الأول سنة 1029هـ/1620م،¹²⁶ أي أنها توفيت وعمرها ثمان وخمسون سنة. وتتمي حسب الكتابة المنقوشة على شاهد قبرها لأسرة ”بن ساسي،“ التي اشتهر من أعلامها الصوفي المُجاهد عبد الله بن ساسي المتوفى سنة 961هـ/1554م.¹²⁷ وليست هذه السيدة بنتا لهُ كما ذكر غاستون دو فردان،¹²⁸ فوالدها هو أبو بكر بن محمد حسب منطوق الكتابة المنقوشة على شاهد قبرها.

قبل الاستمرار في ذكر الأشخاص الهالكين ممن حظوا بشواهد قبور تحتوي على كتابات عربية منقوشة تدلنا على هويتهم، يجدر الاستفسار عن بعض الأشخاص ممن لم نجد لهم شاهد قبر مماثل، مثل السلطان عبد الله أبو فارس الواثق بالله بن أحمد المنصور بالله (1603-7م)، والسلطان محمد الشيخ المامون بن أحمد المنصور بالله (1607-14م).

ويؤكد غاستون دو فردان في دراسته لتاريخ مقبرة الأشراف السعديين غياب شواهد قبور السلطانين المذكورين أعلاه،¹²⁹ لأن السلطان عبد الله أبو فارس الواثق بالله بن أحمد المنصور بالله مات خنقا بمدينة فاس على يد الأمير عبد الله بن محمد الشيخ المامون، بتاريخ جمادى الأولى سنة 1018هـ/1609م،¹³⁰ ولعله دُفن بفاس في مقبرة ”القلعة“ حيث دُفن السلطان عبد الملك المعتصم بالله سنة 986هـ/1578م، أو في موضع آخر من المدينة نجهله. أما السلطان محمد الشيخ المامون بن أحمد المنصور بالله، فقد ”قتله المقدم أبو الليف غدرا بمحلته بموضع يعرف بفج الفرس.¹³¹ وبقي مطروحا مكشوف العورة

126. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n° 131, 136; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°50, 63.

127. الناصري، كتاب الاستقصا، ج. 5، القسم الأول، 91؛ محمد حجي، ”ابن ساسي عبد الله،“ معلمة المغرب، الطبعة الثانية (الرباط: إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، 2014)، ج. 14، 4815.

Louis Voinot, "Les zaouïas de Marrakech et de la région voisine," *Revue de Géographie Marocaine* 1 (1937): 9.

128. Deverdun, *Inscriptions*, 136.

129. Deverdun, *Marrakech*, t. I, 410.

130. الإفرائي، نزهة الحادي، 289.

131. ورد هذا الموقع عند: أبو عبيد الله البكري، المسالك والممالك؛ الجزء الخاص ببلاد المغرب، دراسة وتحقيق زينب الهكاري (الرباط: الرباط نيت، 2010)، 212.

أياما، حتى خرج جماعة من تطوان فحملوه ودفنوه مع من قُتِلَ من أصحابه كالديبيرين وبعض أولاده، خارج تطوان،¹³² إلى أن حُمِلَ لفاس الجديد مع أمّه [الخيزران]، فدفنوا بها، وكان قتله خامس رجب سنة اثنتين وعشرين وألف [1022هـ/1613م].¹³³ أما بالنسبة لقبريهما، فهما مجهولان كقبر أبي فارس الواثق بالله، إذ لا وجود لهما في المدونة المعروفة للكتابات العربية السعدية المنقوشة بمدينة فاس.¹³⁴

وبعد مُضي سنة واحدة على دفن فاطمة بنت الشيخ أبي بكر بن محمد بن علي بن ساسي، استقبلت المقبرة (قبة الإثنا عشر عمودا) جثمان امرأة أخرى، تدعى "توار" زوجة السلطان زيدان بن أحمد المنصور بالله، ووالدة "نجله السعيد الأكبر وولده الأكبر مولانا أبي مروان عبد الملك"، وقد توفيت أواخر شهر صفر سنة 1030هـ/1621م، وهي في السابعة والثلاثين من عمرها.¹³⁵ ولحقت بها بعد ذلك الأميرة لالة فاطمة بنت السلطان أبي محمد عبد الله، إذ توفيت بعد سنة واحدة من سابقتها، في شهر جمادى الأول سنة 1031هـ/1622م،¹³⁶ وجرى دفنها بقبة لالة مسعودة. أما والدها السلطان أبي محمد عبد الله، فهو غير "عبد الله بن محمد الشيخ المامون" الذي كان سلطانا على مملكة فاس بين سنوات 1022-33هـ/1614-24هـ، فالكتابة العربية المنقوشة تقرن اسم والدها بلفظ "المرحوم بكرم الله"، وعبد الله بن محمد الشيخ المامون توفي بعد وفاة الأميرة لالة فاطمة بستين حسب المصادر الإخبارية.¹³⁷ ومن جهة أخرى، نعلم أن السلطان عبد الله الغالب بالله (964-81هـ/1557-74م) هو الوحيد الذي حَمَلَ كُنية "أبو محمد"،¹³⁸ وهو الوحيد المتبقي ضمن سلسلة سلاطين الدولة السعدية الذي سُمي بعبد الله. وهذا يعني أن الأميرة لالة فاطمة توفيت بعد انقضاء خمسين سنة - حسب التقويم الهجري - من وفاة والدها السلطان عبد الله الغالب بالله.

ولن يمضي وقت طويل حتى استقبلت المقبرة قبرا جديدا؛ ففي السنة نفسها توفيت امرأة مجهولة الاسم، وزُوِّدَ قبرها بشاهد رخامي فخم مماثل لشاهد قبر السلطان أحمد

132. ذكر محمد بن الطيب القادري أن محمد الشيخ المامون، لما قُتِلَ، دفن بتطوان، لا خارج تطوان كما ذكر الإفرائي، انظر: القادري، نشر الثاني، ج. 1، 197.

133. الإفرائي، نزهة الحادي، 293؛ محمد داود، تاريخ تطوان (تطوان: مطبعة مولاي الحسن، 1959)، ج. 1، 184.

134. انظر هذه المدونة عند عوني، فن المنقوشات، 157-177.

135. Deverduin, *Inscriptions*, inscription n° 90, 91; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°23, 29.

136. Deverduin, *Inscriptions*, inscription n° 132, 137; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°45, 58.

137. مجهول، تاريخ، 100؛ الإفرائي، نزهة الحادي، 345.

138. الإفرائي، نزهة الحادي، 97؛ عوني، فن المنقوشات، 564.

المنصور بالله، اشتمل على نفس الآيات القرآنية المنقوشة على شاهد قبر هذا السلطان.¹³⁹ وقد رَجَّحَ غاستون دو فردان بناء على هذا التماثل، وأهمية شاهد القبر، وموقعه داخل قبة الإثنا عشر عموداً، كونه شاهد القبر الخاص بعائشة بنت أبي بكر الشبانية زوجة السلطان أحمد المنصور ووالدة ابنه زيدان. ولعل صفة "الحُرَّة" الواردة في البيت الشعري الأخير المنقوش على شاهد قبرها دليل يمكن اعتماده لتدعيم هذه الفرضية.¹⁴⁰ ومع ذلك، فنحن نتحفظ تجاه هذه الفرضية التي تفتقر رغم كل شيء لدليل تاريخي ومادي ملموس، فربما كان القبر لامرأة أخرى ذات مكانة مهمة في البلاط السعدي غاب عنا ذكرها. أما بالنسبة لتاريخ الوفاة، فقد جاء على طريقة حساب الجُمَّل المغربي، وقد تحايل غاستون دو فردان في حسابه له ليتحصل على سنة 1623م تاريخ وفاة عائشة الشبانية حسب ما ورد عند الهولندي ألبير رول (Albert Ruyf)، وإن كان حاصل الحساب هو 1031هـ/1621-22م.¹⁴¹

وبعد هذه المرأة المجهولة الهوية، دُفِنَ بالمقبرة داخل قبة الإثنا عشر عموداً، السلطان زيدان بن أحمد المنصور بالله، بعدما وافته المنية في "التاسع من المحرم سنة سبع وثلاثين وألف [1627م]، ودُفِنَ بجانب قبر أبيه رحمه الله، من قبور الشرفاء، بظاهر قبلي جامع المنصور."¹⁴² وقد وُضِعَ على قبره شاهد رخامي فخم شبيه بشاهد قبر والده أحمد المنصور بالله، كما أنه جاء مشابهاً له ولقبر المرأة المجهولة أعلاه، على مستوى الكتابة العربية المنقوشة، فقد تكونت هذه الأخيرة في الشواهد الثلاثة من آيات قرآنية تلتها أبيات شعرية عددها ثمانية. والغريب هو التشابه الكبير بين الأبيات الشعرية المنقوشة على شاهد قبر أحمد المنصور بالله وابنه زيدان، واستعمال الناظم فيها لطريقة حساب الجمل لذكر تاريخ الوفاة،¹⁴³ وهو ما يدفعنا إلى الاعتقاد أن الناظم لهما شخص واحد، نستبعد أن يكون عبد العزيز بن محمد الفشتالي، لأنه توفي قبل هذا التاريخ، سنة 1031هـ/1622م. أما السلطان عبد الله الواثق بالله بن محمد الشيخ المامون الذي حكم ما بين 1022-32هـ/1614-23م، والسلطان عبد الملك بن محمد الشيخ المامون الذي حكم ما

139. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n° 91, 92-93; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°12, 15.

140. الإفرائي، نزهة الحادي، 282؛ عثمان المنصوري، "تاريخ المرأة المغربية في العصر الحديث" مقارنة أولى، مجلة أمل، عدد مزدوج 14/13 (1998): 155.

141. Deverdun, *Inscriptions*, 93-94.

142. الإفرائي، نزهة الحادي، 349.

143. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n° 92, 94-95; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°11, 13-14.

بين 1032-36هـ/1623-27م، فقد توفيا بمدينة فاس حيث كان مركز حُكُمهما،¹⁴⁴ ودُفنا في موضع نجهله إلى حدود الساعة.¹⁴⁵

وتلا السلطان زيدان في الدفن، ابنه السلطان أبو مروان عبد الملك، الذي "قتله العُلُوج بمدينة مراكش وهو سكران، يوم الأحد السادس من شعبان سنة أربعين وألف، ودُفن بجانب قبر أبيه رحمه الله."¹⁴⁶ وقد دُفن كما هو معلوم بقبة الإثنا عشر عمودا، وجُعل على قبره شاهد رخامي فخم، تستدعي الكتابة العربية المنقوشة عليه ملاحظتين: تهتمُّ الملاحظة الأولى صِيغ الدُّعاء المنقوشة على شاهد القبر، فهي كثيرة ومتنوعة تتخلل كل قطاعات النص المنقوش، ولعل السبب في ذلك حسب غاستون دو فردان، هو ما عُرف عن هذا السلطان من "الظلم والجور على الرعية، وفساد السيرة، وطمس البصيرة، وقلة الديانة، والإدمان على شرب الخمر" حسب ما جاء في بعض المصادر الإخبارية.¹⁴⁷ أما الملاحظة الثانية، فتهم تاريخ وفاة عبد الملك بن زيدان، فالمصادر الإخبارية المغربية والأوروبية تُجمع على وفاته سنة 1040هـ/1631م،¹⁴⁸ إلا أن الكتابة العربية المنقوشة تشير إلى تاريخ مُختلف هو 1039هـ/1630م. فأَي التاريخين هو الصَّحيح؟ يبدو من الإجماع المشار إليه عند الإخباريين المغاربة والأوروبيين أن التاريخ الفعلي لوفاة عبد الملك بن زيدان هو سنة 1040هـ/1631م، فلو اقتصر الأمر على إخباري دون آخر، لَرَجَّحنا بعد دراسة نقدية للوثائق، نص الكتابة المنقوشة على غيره. وهذا فضلا عن صدور رسالة عن عبد الملك بن زيدان إلى الملك الفرنسي لويس الثالث عشر (Louis XIII) حول قضية الأسرى، مؤرخة بشهر ربيع الأول من سنة 1040هـ/1630م،¹⁴⁹ واستقباله ثلاث رسائل محررة باللغة الفرنسية من رازيلي خلال شهري غشت وشتبر من سنة 1630م، أي بعد مرور عدة أشهر على شهر مارس 1630م¹⁵⁰ الذي تقدمه الكتابة العربية المنقوشة كتاريخ لوفاة عبد الملك بن زيدان. أما عن التاريخ الوارد في الكتابة العربية المنقوشة، فربما جاء نتيجة سهو وقع فيه كاتب النص المنقوش أو المكلف بنقش النص على شاهد القبر.

144. الإفرائي، نزهة الحادي، 345-51.

145. Deverdun, Marrakech, t. I, 410.

عوني، فن المنقوشات، 157-168.

146. الإفرائي، نزهة الحادي، 353.

147. الإفرائي، نزهة الحادي، 353؛ مجهول، تاريخ، 95.

148. نفسها.

Deverdun, *Inscriptions*, 97, note 68.

149. مصطفى بنعلة، مجموعة ظواهر ورسائل السعديين؛ دراسة وتحقيق، (الرباط: جمعية الحسن الوزان

للمعرفة التاريخية، 2011)، 259.

150. بنعلة، مجموعة، 260.

وبعدّه بأربع سنوات ونصف (خلال شهر جمادى الأولى سنة 1045هـ/1635م)،
توفّي أحد أبنائه، وهو "مولانا محمد ابن مولانا أبو مروان بن السلطان مولانا زيدان،"¹⁵¹
ودُفن في المقبرة الخارجية من مقبرة الأشراف السعديين. ولحقت به إحدى بنات
السلطان محمد الشيخ الأصغر الذي حكم ما بين 1045-64هـ/1636-54م، وقد تميزت
الكتابة العربية المنقوشة على شاهد قبرها في قبة الإثنا عشر عموداً، بإيراد تاريخ ولادتها
وتاريخ وفاتها هكذا:

"هذا ضريح الحرة الشريفة لنتنا مريم بنت مولانا السلطان محمد الشيخ
ولدت قرب طلوع الفجر من ليلة الخميس ثنائي وأربعين وألف وتوفيت قدسها
الله أواسط ربيع الثاني من السنة المذكورة ودُفنت بالروضة المشرفة مع أسلافها
الكرام تغمد الله الجميع برحمته."¹⁵²

ونلاحظ أن كاتب النص أو المكلف بنقشه أعفل ذكر الشهر وتعداد اليوم الذي
وُلدت فيه هذه الأميرة الصغيرة، التي توفيت سنة 1048هـ/1638م وهي لم تتجاوز ثلاثة
أشهر ونصف من عمرها في أكثر تقدير.

وبعد أربع سنوات من هذا التاريخ الأخير، استقبلت قاعة الإثنا عشر عموداً
جثمان أميرة سعديّة أخرى. ويتعلق الأمر هذه المرة بأميرة يحف بها الغموض، فالكتابة
العربية المنقوشة احتوت على آيات قرآنية وقصيدة شعرية تضمنت إشارة لإسم "عَلِيَّة"،
وتاريخ الوفاة في آخر بيت بطريقة حساب الجُمَّل وهو 1052هـ/1642-43م،¹⁵³ أي خلال
فترة حكم السلطان محمد الشيخ الأصغر. وباستثناء هذه المعلومات، لا تتضمن الكتابة
الشاهدية أية معطيات أخرى عن هذه الأميرة، وهو ما جعل غاستون دو فردان يبحث
عن هويّة محتملة لها، مُستبعداً في بحثه اسم "عَلِيَّة" الذي جعله نعتاً لها لا اسماً، ومقترحاً
أسماء أميرات سعديات أخريات كلاله آية إحدى بنات محمد الشيخ، أو إحدى بنات
السلطان أحمد المنصور، أو لالة يامّة زوجة زيدان بن أحمد المنصور ووالدة محمد الشيخ

151. Deverduin, *Inscriptions*, inscription n° 118, 120-121; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°30, 40.

152. Deverduin, *Inscriptions*, inscription n° 94, 98; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°18, 23.

153. Deverduin, *Inscriptions*, inscription n° 95, 99; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°19, 24.

وضع غاستون دو فردان في تقديمه للكتابة العربية المنقوشة على شاهد قبر الأميرة "عَلِيَّة"، سنة 1052هـ كتاريخ لوفاة
هذه الأميرة السعديّة، لكنه أثناء الترجمة الفرنسية للنص العربي وضع سنة 1051هـ كمقابل لفعل "أَنَاخْتُ" الذي تضمن
تاريخ الوفاة بحساب الجُمَّل، وهذا خطأ.

الأصغر الذي كان سلطانا لما توفيت هذه الأميرة بمدينة مراكش.¹⁵⁴ على العموم، الشيء الأكيد من خلال الكتابة الشاهدية أن هذه الأميرة كانت أما لسلطان سعدي لم تتمكن من تحديد هويته.

ولحق بهذه الأميرة في الدفن بمقبرة الأشراف السعديين حسب غاستون دو فردان، أحد أبناء السلطان محمد الشيخ الأصغر. وقد كُشِفَ عن شاهد قبره من قبل مفتشية المباني التاريخية، بعدما كان مدفونا جزئيا تحت سطح الأرض بالزاوية الشمالية الغربية من قاعة الكَوَات الثلاث. أما بالنسبة للكتابة العربية المنقوشة على شاهد القبر فهذا نصها:¹⁵⁵

”هذا ضريح من جنات الرضوان حَفَّ بِرُوحِ رَبِنَا وَالرِيحَانِ ضَرِيحِ مَوْلَانَا
عَبْدِ الْمَلِكِ نَجْلِ مُحَمَّدِ الشَّيْخِ سَلِيلِ زَيْدَانَ.“

لقد أُهْمِلَ تاريخ وفاة هذا الأمير، لكن تجريد محمد الشيخ الأصغر في الكتابة من الألقاب المتصلة بالشرف والإمامة، يجعلنا نُرَجِّحُ وفاة الابن بعد انتهاء فترة حُكْم الأب أي بعد سنة 1064هـ/1654م، أي خلال فترة حكم أبي العباس أحمد بن محمد الشيخ الأصغر آخر سلاطين الدولة السعدية، أو قبل مبايعة محمد الشيخ الأصغر، أي خلال فترة حكم أخيه السلطان الوليد بن زيدان ما بين سنة 1040هـ/1631م وسنة 1045هـ/1636م. لكن الغريب في الأمر، هو احتواء قبة لالة مسعودة على شاهد قبر شبيه إلى حد كبير بالشاهد السابق، يخص أيضا أحد أبناء السلطان محمد الشيخ الأصغر، كما أن الكتابة العربية المنقوشة عليه خالية هي الأخرى من تاريخ الوفاة، بل إن صيغة النص جاءت مطابقة للصيغة المستعملة في الشاهد السابق، فقد نقش على هذا الشاهد النص التالي:¹⁵⁶

”هذا رياض من جنات الرضوان حَفَّ بِرُوحِ رَبِنَا وَالرِيحَانِ ضَرِيحِ مَوْلَانَا
عَبْدِ اللَّهِ نَجْلِ مُحَمَّدِ الشَّيْخِي سَلِيلِ زَيْدَانَ.“

يتبين من خلال المقارنة بين النصين أن الفرق بينهما طفيف، لا يتعدى استبدال اسم ”ضريح“ باسم ”رياض“ واسم ”عبد الملك“ باسم ”عبد الله“، وتحريف اسم ”الشيخ“ إلى ”الشيخِي“.

154. Deverdun, *Inscriptions*, 100.

155. Gaston Deverdun, "Nouvelles inscriptions arabes à Marrakech," *Hespéris* XXXIV (1947): 455; Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°83, 80.

156. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n° 133, 137; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°43, 56.

إلى جانب هذه الشواهد غير المؤرخة، يوجد بقاعة الإثنا عشر عموداً شاهداً رخامي يتضمن أربعة أبيات شعرية، يخص أميرة مجهولة الاسم تمت الإشارة إليها في البيت الأخير بلفظ "بنت الإمام"، أما بالنسبة لتاريخ وفاتها، فقد ورد في البيت الأخير بطريقة حساب الجُمَّل المستعملة في العديد من الكتابات الشاهدية السالفة الذكر،¹⁵⁷ إلا أن دوڤردان أبدى تحفظه أثناء حسابه للقيمة العددية للكلمات الدالة على تاريخ وفاة هذه الأميرة، فقد حَصَلَ بعد عملياته الحسابية على سنة 1272هـ/1855-56م، وهو تاريخ غير مقبول حسب الباحث نفسه، نظراً لِقَدَم شاهد القبر وخصائصه السعدية الواضحة على مستوى الكتابة، لهذا السبب اقترح استخدام حساب الجُمَّل المشرقي لحساب القيمة العددية المطلوبة، فحصل بذلك على سنة 1062هـ/1651-52م، وهي سنة تتخلل فترة حكم السلطان السعدي محمد الشيخ الأصغر.¹⁵⁸ لكن هل استخدم كاتب هذه الأبيات الشعرية حساب الجُمَّل المشرقي أم وقع ببساطة في خطأ أثناء استخدامه لحساب الجُمَّل المغربي؟ أسئلة كثيرة لا نستطيع الإجابة عنها في الوقت الراهن لافتقارنا للدلائل التاريخية.

قبل الاسترسال في ذكر بقية الكتابات الشاهدية الموجودة بالمقبرة، يجدر بنا التنبيه إلى غياب شاهد قبر للسلطان الوليد بن زيدان بكتابة عربية منقوشة عليه، فقد قتله الأعلج بمراكش يوم الخميس 14 رمضان سنة 1045هـ/1636م، وكان من المفروض أن يزود قبره كغيره من سلاطين الدولة السعدية بشاهد رخامي يليق بمقامه. ولعل أخاه محمد الشيخ الأصغر الذي بويع من بعده، كان وراء حرمانه من هذا الشاهد، فقد كان محمد الشيخ الأصغر قابعا في السجن بأمر من أخيه الوليد خوفاً من "شقه عصا الطاعة وانتزاعه خاتم الملك من يده"،¹⁵⁹ وقد يكون هناك سبب آخر مفسر لهذه الحالة الشاذة.

وبعد هؤلاء، نجد في قبة الإثنا عشر عموداً شاهداً قبر السلطان محمد الشيخ الأصغر بن زيدان، الذي توفي سنة 1064هـ/1654م، و"دُفِنَ قريباً من قبر أبيه،"¹⁶⁰ وقبر جدّه أحمد المنصور بالله. وقد نقشت على شاهد قبره آيات قرآنية، تلتها أربعة أبيات شعرية أشارت لاسم السلطان على الشكل التالي "محمد الشَّيْخِي بن زيدان"، لكنها لم تشر إلى تاريخ الوفاة.¹⁶¹

157. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n° 96, 101; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°25, 31.

158. Deverdun, *Inscriptions*, 101.

159. الإفرائي، نزهة الحادي، 354.

160. نفسه، 373.

161. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n° 97, 102; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°9, 9-10.

ويوجد شاهد قبر بالمقبرة الخارجية، يخص زوجة السلطان أبي العباس أحمد بن محمد الشيخ الأصغر، آخر سلطان سعدي. وجاء شاهد قبرها خالياً من اسمها، في حين جرى التنصيص على اسم والدها وولدها وزوجها، هذا نص ما ورد فيه بعد التعويذة والبسمة والتصلة:¹⁶²

”هذا ضريح السيدة بنت الحسين الجرجار ولدة مولانا أبي بكر بن مولاي السلطان مولاي أحمد بن مولانا محمد الشيخ الشريف الحسني.“

يمكن تأريخ هذا الشاهد اعتماداً على وُرد لقب السلطان مقروناً باسم أحمد بن محمد الشيخ، فقد توفيت زوجته المجهولة الاسم دون شك خلال فترة توليه للحكم، أي ما بين سنة 1064هـ/1654م وسنة 1069هـ/1659م. أما زوجها الذي قتله الشبانان سنة 1069هـ/1659م،¹⁶³ فنحن نجهل موضع دفنه داخل مقبرة الأشراف السعديين في حال دُفن بها، فلا يوجد أي شاهد قبر منقوش خاص به داخل المقبرة، كما أن شاهد قبر ابنه أبي بكر الوارد اسمه في شاهد قبر أمه بنت الحسين الجرجار، وشواهد قبور بناته وأخواته¹⁶⁴ غير موجودة هي الأخرى، فهل أدى انتقال السلطة من السعديين إلى الشبانان بمراكش إلى تهميش كل الموتى المنحدرين من الأسرة السعدية؟

ونود إثارة الانتباه هنا، إلى وجود مجموعة من شواهد القبور الرخامية السعدية تحتوي على كتابات عربية منقوشة خالية أحياناً من أية إشارة إلى تاريخ الوفاة، يصعب معها بتاتا تأريخها. ومن بينها شاهد قبر فاطمة بنت الرشيد بقاعة الإثنا عشر عموداً، والذي احتوى نص الكتابة العربية المنقوشة فيه على أبيات شعرية انتهت بإشارة إلى تاريخ الوفاة بطريقة حساب الجُمَّل،¹⁶⁵ لكن حساب القيمة العددية للكلمات الدالة على تاريخ الوفاة (إن فاح الكُبا) يعطينا سنة بعيدة كل البعد عن العهد السعدي الذي أنجز فيه شاهد القبر. يضاف إلى هذا النموذج، شاهد قبر ”عيشة بنت أحمد بن محمد بن المير بن كاوي بن عبد الصادق بن جابر بن علي بن موسى حفيده مريم بنت السيد،“¹⁶⁶ فهو بدوره يستعصي على التأريخ، لغياب ذكر تاريخ الوفاة، ولجهلنا بترجم الأشخاص

162. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°119, 121.

163. الإفرائي، نزهة الحادي، 375.

164. ورد ذكرهن عند: محمد بن عبد السلام الضعيف، تاريخ الضعيف الرباطي، دراسة وتحقيق الأستاذ محمد البوزيدي الشيعي، الطبعة الأولى (الدار البيضاء: دار الثقافة، 1988)، ج. 1، 148.

165. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n° 99, 104; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°17, 22.

166. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°84, 80; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°28, 37.

المذكورين في سلسلة نسبها. ونختم بشواهد قبور مشابهة، لا تحتوي هذه المرة على اسم الشخص المتوفى أو لقبه أو تاريخ ولادته أو وفاته أو منصبه أو موقعه من الأسرة السعدية، كما هو حال الشواهد الرخامية الأربعة الموزعة على قاعة الإثنا عشر عموداً¹⁶⁷ والمقبرة الخارجية¹⁶⁸ وقبة لالة مسعودة،¹⁶⁹ فهي شواهد لا تتضمن الكتابات العربية المنقوشة عليها سوى آيات قرآنية.

وبهذه القبور ذات الكتابات الشاهدية الخالية من أية معطيات تفيد في تحديد هوية المتوفين، ننهي المرحلة السعدية في تاريخ مقبرة الأشراف السعديين، بعدما أوت جثامين عشرات النساء والرجال، من الشيوخ والأطفال، ولهذا السبب تعتبر المقبرة مقبرة سعدية بامتياز، فأغلب القبور الموجودة بها تعود للعهد السعدي. ومن حسن الحظ أن جلاها ظل محفوظاً دون أن يمسه التلف، خلافاً لما وقع للمقبرة الموحدية بتينمل حيث اختفت جميع معالم أضرحة الخلفاء الموحدين.

ومن جهة أخرى، تبيننا من خلال الجرد المقدم أعلاه لشواهد القبور السعدية، أن عمليات الدفن بالمقبرة في العهد السعدي بدأت حسب الشواهد المؤرخة سنة 965هـ/1557م، تاريخ دفن السلطان محمد الشيخ المهدي بالله بها، وانتهت حسب الشواهد نفسها خلال فترة حكم آخر سلاطين الدولة السعدية أبي العباس أحمد بن محمد الشيخ الأصغر (1064-69هـ/1654-59م)، إلا أن تاريخ البدء في الدفن يمكن أن يكون أقدم من ذلك، فربما بدأ الدفن بالمقبرة منذ سنة 1525م تاريخ استيلاء الأشراف السعديين على قسبة مراكش حيث توجد المقبرة، وقضائهم على الإمارة الهنتاتية بمراكش.

كما كشفت الكتابات الشاهدية في المقبرة عن التنوع السوسيو-سياسي للأشخاص المتوفين، فالدفن بالمقبرة لم يقتصر على سلاطين الدولة وأبنائهم وبناتهم وزوجاتهم وجداتهم، بل شمل أيضاً زوجات أبناء وأحفاد السلاطين وأبناء وبنات هؤلاء الأمراء، كما هم بعض القياد الأندلسيين، وموظفين آخرين داخل البلاط السعدي، وهو ما ساعد على تكملة المعطيات المتوفرة في المصادر الإخبارية عن أفراد الأسرة السعدية، فكثير من شواهد القبور قدمت لنا معلومات فريدة من نوعها عن شخصيات لا تتوفر لنا عنهم

167. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°101, 107; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°16, 21.

168. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°119 bis, 122; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°31, 41.

169. Deverdun, *Inscriptions*, inscriptions n°133 bis et 133 ter, 138; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscriptions n°47 et 48, 60-61.

أية معلومة في المصادر الإخبارية وكتب التراجم. إلا أن هذه الشواهد بيّنت لنا من جهة أخرى عن إمكانية وقوع كاتب النص المنقوش أو المسؤول عن نقش النص في الخطأ على مستوى تحديد تاريخ الوفاة في الغالب الأعم، وبالتالي وجب الانتباه أثناء الاعتماد على هذه الشواهد في الكتابة التاريخية، وعرضها للنقد التاريخي الصارم قبل القبول بالمعطيات الواردة فيها.

مقبرة الأشراف السعديين في العهد العلوي

بسقوط الدولة السعدية، انتقلت السلطة في مدينة مراكش بعد فترة انتقالية [امتدت من سنة 1069هـ/1659م إلى سنة 1079هـ/1668م] إلى الدولة العلوية الناشئة. "ففي الثاني والعشرين من صفر من عام 1079هـ [1668م]، قصد [السلطان الرشيد] مراكش فأخذها وقتل رئيسها بوبكر بن عبد الكريم المدعو كروم الحاج الشباني مع جماعة من حزبه وقرابته وأخرج والده عبد الكريم من قبره بعد موته وأحرقه."¹⁷⁰ ولعل عبد الكريم بن أبي بكر الشباني الذي جرى حرق جثمانه، كان مدفوناً في مقبرة الأشراف السعديين، فقد تزوج كما هو معلوم أمّ آخر سلاطين الدولة السعدية بعد قتله لهذا الأخير، وبوبع بمراكش،¹⁷¹ وتلقب في رسائله بـ "عبد الله المتوكل عليه أمير المؤمنين عبد الكريم بن أبي بكر الناصر الدين الله،"¹⁷² وهو ما يدفعنا لترجيح دفنه في مقبرة الأشراف السعديين دون غيرها من المقابر. أما ابنه بوبكر فنجهل موضع دفنه هو الآخر، وإن كنا نستبعد دفنه بمقبرة الأشراف السعديين، نظراً للظروف التي قُتِل فيها، والتمثيل الذي تعرض له جثمان والده من قبل السلطان العلوي المولى الرشيد (1075-82هـ/1666-72م).

لكن ماذا عن بقية أفراد الأسرة السعدية؟ هل استمر دفنهم في مقبرة الأشراف السعديين ما بين سنة 1659م و1668م؟ نجهل كل شيء عن هذه المرحلة، فالمقبرة لا تحتوي على أي كتابة شاهدة تعود لهذه الفترة، ومع ذلك لا نستبعد استمرار عمليات دفن هؤلاء في المقبرة، مع الاقتصار في كسوة القبر على لوحة فسيفسائية مستطيلة مكونة

170. الضعيف، تاريخ الضعيف، ج. 1، 147-8، انظر أيضاً عن هذا الحدث: الإفرائي، نزهة الحادي، 408؛ القادري، نشر الثاني، ج. 2، 181.

Ezziāni Aboulqāsem ben Ahmed, *Le Maroc de 1631 à 1812, Extrait de l'ouvrage intitulé Ettordjemān Elmo'rib 'An Douel elmachriq ou 'l'maghrib*. Publié et traduit par Octave Houdas (Rabat: Dar Al Amane, 2013), 10. (Texte arabe)

171. الضعيف، تاريخ الضعيف، ج. 1، 148.

172. بنعلة، مجموعة، 211.

من قطع الزليج الملون لا غير. أما بالنسبة لما بعد سنة 1668م أي بعد استيلاء العلويين على مراكش، فنحن نتوفر على شاهد قبر بقاعة الإثنا عشر عموداً، نقشت عليه الكتابة العربية التالية:¹⁷³

”أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً هذا [أ] ضريح الطهرة السعيدة الشريفة الحسنية للارقية بنت مولانا أحمد ابن مولانا محمد توفت رحمها الله في شهر الله صفر سنة ثلاث وثمانين وألف.“

إذا كان شاهد القبر سعدياً دون شك، فإن هوية صاحبه للارقية في حاجة لمزيد من التوضيح. فقد جعل ”فليكس أران“ و”كاستون دو فردان“ من هذه الأميرة بنتا من بنات السلطان أحمد المنصور بالله بن محمد الشيخ المهدي بالله،¹⁷⁴ لتكون بذلك قد توفيت بعد انصرام 71 سنة (حسب التقويم الهجري) على وفاة السلطان أحمد المنصور بالله، وهذا ما قد يصل بنا في تحديد عمرها لما فارقت الحياة (سنة 1083هـ/1672م) إلى ثمانين سنة أو أكثر، وهو أمر نشك فيه، لما تعاقب على البيت السعدي من محن وبلايا منذ وفاة المنصور بالله، أدت كما هو معلوم إلى فناء عدد كبير من أفراد هذا البيت. ونقترح في المقابل أن تكون للارقية إحدى بنات السلطان السعدي الأخير أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ الأصغر، فاسم الأب والجد هنا يتناسبان جيداً مع اسم أب وجد للارقية كما وردا في الكتابة الشاهدية. كما أن الصيغة المستعملة في الكتابة للإشارة إلى الأب والجد نجدها مستعملة في شاهد قبر السيدة بنت الحسين الجرجار زوجة السلطان أبي العباس أحمد بن محمد الشيخ الأصغر،¹⁷⁵ إضافة إلى ترك أبي العباس أحمد لمجموعة من البنات بعد مقتله،¹⁷⁶ قد تكون للارقية إحداهن.

وبعد الأميرة السعدية ”للارقية“ استقبلت قاعة الصلاة في المقبرة سنة 1757م، حسب الكتابات الشاهدية المتوفرة، جثمان أول فرد من أفراد الأسرة العلوية. ويتعلق الأمر هنا بالسيدة ”الزهراء“ زوجة الأمير محمد بن المولى عبد الله بن المولى إسماعيل،

173. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°102, 107; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°15, 20.

174. Deverdun, *Inscriptions*, 108; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, 20, note n°4.

175. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°119, 121.

176. الضعيف، تاريخ الضعيف، ج. 1، 148.

والتي "توفيت يوم الثلاثاء في بدء رمضان من عام عَقَش في العدد،"¹⁷⁷ و"عقش" تعادل قيمة حروفها في حساب الجُمَّل المغربي سنة 1170هـ/1757م، لا سنة 1150هـ/1737م كما أشار غاستون دوفردان إلى ذلك في العنوان الذي وضعه للكتابة العربية المنقوشة على شاهد قبر هذه الأميرة.¹⁷⁸

وتلى للارقية في الدفن، أحد أبناء السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1117-1204هـ/1757-90م)، وهو الشريف مولاي سليمان، والذي دفن بقاعة الصلاة نفسها بعدما وافته المنية "في أول جمادى الثاني عام 1179 [1765م]."¹⁷⁹ وبعد شهرين تقريبا من وفاة هذا الأمير، دفن جثمان ابن آخر من أبناء السلطان سيدي محمد بن عبد الله بنفس القاعة على مقربة من قبر أخيه مولاي سليمان، ويتعلق الأمر بالأمير مولاي عبد الله الذي توفي "وأخر رجب عام 1179 [1766م]،"¹⁸⁰ وبعد انصرام حوالي نصف شهر، دُفنت بالقاعة نفسها وقُربَ الأميرين المذكورين إحدى بنات السلطان نفسه، وهي "الشريفة مولاتنا ست الملك،" التي توفيت في "منتصف شعبان عام 1179 [1766م]،"¹⁸¹ سيلها ابن آخر من أبناء السلطان سيدي محمد بن عبد الله، هو "الشريف مولانا عبد الملك،" الذي توفي سنة 1180هـ/1766-67م.¹⁸²

وتجدر الإشارة إلى أن الكتابات الشاهدية الأربع لأبناء السلطان سيدي محمد بن عبد الله تعتبر من أولى الكتابات الشاهدية في مقبرة الأشراف السعديين التي استعملت التأريخ بالأرقام بدل التأريخ بالحروف أو التأريخ بالجملة الحسائية، وهي طريقة متأخرة لم تكن لها سابقة في العهد السعدي، ولم تنتشر بشكل كبير إلا في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله.¹⁸³

ونود إثارة الانتباه هنا أيضا، إلى تقارب تواريخ وفيات الأبناء الأربعة للسلطان سيدي محمد بن عبد الله، وصغر حجم شواهد قبورهم، وهو ما يدل على وفاتهم في سن مبكرة، ولعل وفاتهم راجعة إلى مرض ألمَّ بهم أتى بسرعة على الأطفال ذوي المناعة الضعيفة.

177. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°105, 111; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°6, 6.

178. Deverdun, *Inscriptions*, 110.

الغريب في الأمر أن دوفردان أورد تاريخ الوفاة صحيحا في الترجمة الفرنسية لنص الكتابة الشاهدية.
179. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°106, 112; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°3, 3.

180. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°107, 112; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°2, 2.

181. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°108, 113; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°4, 4.

182. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°109, 113; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°5, 5.

183. عوني، فن المقوشات، 591.

وبعد مُضي أربع سنوات على وفاة مولاي عبد المالك، دُفِنَ بنفس القاعة وقرب الإخوة الأربعة، الابن الخامس من أبناء السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وهو "الشريف سيدي جعفر"، المولود في اليوم السابع من شهر رمضان من سنة 1184هـ/1771م والمتوفى في اليوم الخامس والعشرين من نفس الشهر والسنة.¹⁸⁴

وبعد هؤلاء الأمراء الصغار السن، دفنت بمقبرة الأشراف السعديين، السيدة "مريم بنت الأخضر زوج سيدنا ومولانا الحسين بن أمير المؤمنين سيدي محمد بن أمير المؤمنين مولانا عبد الله بن أمير المؤمنين مولانا إسماعيل"، بعدما توفيت سنة 1204هـ/1789-90م.¹⁸⁵ وقد جرى اكتشاف شاهد قبرها لأول مرة سنة 1952م في المقبرة الخارجية، من قبل مفتشية المباني التاريخية،¹⁸⁶ ولهذا السبب لم يرد ذكر الكتابة العربية المنقوشة على شاهد قبرها عند كل من "كأبريل روسو" و"فليكس أران" سنة 1925م. وفي السنة نفسها تقريبا، أنجزَ شاهد قبر رخامي للسلطان سيدي محمد بن عبد الله في قبة لالة مسعودة، نقشت على إحدى واجهاته الكتابة التالية:¹⁸⁷

"بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما توفي أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله بن إسماعيل الحسني رحمه الله في 27 رجب من عام 1204."

وتفيد المصادر الإخبارية المغربية أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله قد توفي ودفن بعيدا عن مدينة مراكش، حيث ذكر الضعيف أنه "توفي يوم الأحد الخامس والعشرين من رجب بين وادي شراط ووادي يكم في عين الحمامة رحمه الله، وحملوه في داره في القبة التي دفن بها ليلة الاثنين [...] وطلعوا لدار السلطان وأخذوا في حفر قبره وغسلوه وكفنوه [...] ودفن رحمه الله عشية يوم الاثنين السادس والعشرين من رجب من عام أربعة ومائتين وألف."¹⁸⁸ وهو ما وجدناه أيضا عند كل من الكنسوسي¹⁸⁹

184. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°110, 114; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°1, 1.

185. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°120, 122.

186. Deverdun, *Inscriptions*, 122.

187. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°134, 138; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°44, 57.

188. الضعيف، تاريخ الضعيف، ج. 1، 371-2.

189. محمد بن أحمد الكنسوسي، الجيش العرمم الحماصي في دولة أولاد مولانا علي السجلماصي، تقديم وتحقيق وتعليق أحمد بن يوسف الكنسوسي (مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، 1994)، ج. 1، 262.

والمشرفي¹⁹⁰ والناصرى¹⁹¹ وغيرهم من الإخباريين. أما وجه الاختلاف بين هؤلاء، فهو تحديد يوم الوفاة، الذي يبيّن دو فردان من خلال المقارنة بين النصوص المغربية والأوروبية أنه كان يوم السادس والعشرين من رجب سنة 1204هـ/1790م، بينما وقع الدفن في اليوم اللاحق، أي 27 رجب،¹⁹² وبالتالي وجب التمييز بين تاريخ الوفاة وتاريخ الدفن، وتصحيح التاريخ الوارد في الكتابة المنقوشة على شاهد القبر بمقبرة الأشراف السعديين. وبناء على ما سبق ذكره، نستنتج أن شاهد القبر المذكور أعلاه ما هو إلا شاهد رمزي،¹⁹³ وُضع دون شك تخليداً لذكرى سلطان اتخذ من مراكش عاصمة للدولة العلوية، واهتم اهتماماً شديداً بعلماؤها وقصبتها وقصورها ومساجدها ومدارسها وأضرحتها وبساتينها.¹⁹⁴

و بعد هذا الشاهد الرمزي المنسوب للسلطان سيدي محمد بن عبد الله، استقبلت المقبرة جثمان ابنه السلطان العلوي مولاي اليزيد، الذي توفي "ليلة الخميس الثالث والعشرين من جمادى الثانية من السنة السادسة بعد المائتين [1206هـ/1792م] رحمه الله قبل طلوع الفجر بثلاثة سوانع [...] ودُفن رحمه الله مع الملوك السعدية بإزاء مولانا عبد الله السعدي نور الله ضريحهن"¹⁹⁵ وهو خبر أكدته مجموعة من الإخباريين المتأخرين مثل الناصري والمشرفي.¹⁹⁶

ويبدو من هذه الشهادات أن وصية مولاي اليزيد بخصوص محل دفنه لم تتحقق،¹⁹⁷ ودُفن على عكس ذلك في قبة لالة مسعودة قرب ضريح السلطان عبد الله الغالب بالله بن محمد الشيخ. فمن كان وراء هذا الاختيار؟ لا نستطيع الإجابة عن هذا السؤال في الوقت الراهن لغياب الوثائق التاريخية.

190. محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعدّ بعض مفاخرها غير المتناهية، دراسة وتحقيق إدريس بوهليلة، الطبعة الأولى (الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2005)، ج. 2، 32.

191. الناصري، كتاب الاستقصا، ج. 7، 85.

192. Deverduin, *Inscriptions*, 139.

193. De Castries, "Le cimetière," 365; Deverduin, *Inscriptions*, 139.

194. عن هذه الأعمال والمنجزات انظر: المشرفي محمد بن محمد بن مصطفى، ج. 2، 29-30؛ الكنوسى، الجيش العرمرم، ج. 1، 263؛ الناصري، كتاب الاستقصا، ج. 7، 92-93.

Deverduin, *Marrakech*, t. I, 475-511; Wilbaux, *La médina*, 278.

195. الضعيف، تاريخ الضعيف، ج. 1، 423.

196. الناصري، كتاب الاستقصا، ج. 7، 109؛ المشرفي، ج. 2، 37.

197. الضعيف، تاريخ الضعيف، ج. 1، 423.

ونود إثارة الانتباه في هذا السياق، إلى اعتراض هنري دو كاستري على توطين قبر مولاي اليزيد داخل قبة لالة مسعودة، إذ لا يرى أي مبرر لدفنه قرب قبر السلطان السعدي عبد الله الغالب بالله،¹⁹⁸ ويؤكد في المقابل اعتمادا على إشارة للناصرى، تطابق قبر مولاي اليزيد مع القبر المحاط بدرابزين خشبي في قاعة الصلاة بمقبرة الأشراف السعديين.¹⁹⁹ وهو رأي غير مقبول في نظرنا، لخلو القبر الموجود في قاعة الصلاة من أي كتابة عربية منقوشة قد تساعد في تحديد هوية صاحب القبر، واكتفاء الناصري بالإشارة لدفن مولاي اليزيد "بقبور الأشراف، قبلي جامع المنصور من قصبة مراکش،"²⁰⁰ وهي إشارة لا تفيد تخصيص قاعة الصلاة بعملية الدفن، فاللفظ ينطبق على المقبرة ككل. كما أن الضعيف المعاصر لمولاي اليزيد خلافا للناصرى، أكد حدوث عملية الدفن قرب ضريح السلطان عبد الله الغالب بالله، فلماذا قد نشكك في قوله.²⁰¹

تجدد الإشارة إلى أن شاهد قبر مولاي اليزيد اختفى في ظروف غامضة، لكن غاستون دو فردان احتفظ لنا بنص الكتابة العربية المنقوشة على شاهد قبره، ونصها:²⁰²

"هذا قبر السلطان اليزيد الذي حرّك من الغرب بخمسة آلاف ونصف وهزم أخاه مولاي هشاما بأربعة وأربعين ألفا."

ويشي النص عبر صياغته اللغوية، بأن يكون الأمر بنقش هذه الكتابة على شاهد القبر من أنصار وحلفاء مولاي اليزيد، أما عن الهزيمة التي ألحقها مولاي اليزيد بأخيه المولى هشام، فقد وقعت يوم الأحد 19 جمادى الثانية سنة 1206هـ/1792م، ووردت تفاصيلها عند مجموعة من الإخباريين المغاربة.²⁰³ إلا أن دو فردان لم يذكر في تقديمه لنص الكتابة الشاهدية، إن كان قد نقله بنفسه من شاهد القبر قبل اختفائه، أم نقله عن دراسة سابقة،²⁰⁴ وهو ما يجعلنا نتردد كثيرا في قبول هذا النص الذي يختلف كثيرا عن النصوص المنقوشة على شواهد القبور السعدية والعلوية.

198. De Castries, "Le cimetière," 350.

199. Ibid., 457.

200. الناصري، كتاب الاستقصا، ج. 7، 109.

201. الضعيف، تاريخ الضعيف، ج. 1، 423.

202. Deverduin, *Inscriptions*, inscription n°134 bis, 140.

203. الضعيف، تاريخ الضعيف، ج. 1، 422-421؛ المشرفي، الحلل البهية، ج. 2، 37؛ الكنوسى، الجيش العرمم،

ج. 1، 271.

204. لم تتضمن دراسة "كابرييل روسو" و"فليكس أران" سنة 1925، نص الكتابة العربية المنقوشة على شاهد قبر مولاي اليزيد.

وبعد انصرام سنة واحدة على دفن مولاي اليزيد بالمقبرة، جرت وقائع دفن الأمير مولاي إبراهيم ابن السلطان العلوي مولاي هشام في قاعة الصلاة، بعدما توفي في جمادى الثاني سنة 1207هـ/1793م، وله من العمر آنذاك "نحو أربعة أشهر".²⁰⁵ وقد دفن هذا الأمير بمقبرة الأشراف السعديين لأن والده مولاي هشام كان ممسكا آنذاك بزمام السلطة في المدينة بعد وفاة مولاي اليزيد، إلى أن "خلعت الرحامنة طاعة المولى هشام، وبايعت أخاه المولى الحسين بن محمد [...] وكان ذلك سنة تسع ومائتين وألف [1794م]."²⁰⁶

ولحق به في الدفن بالمقبرة الخارجية ابن آخر من أبناء السلطان مولاي هشام، هو مولاي اليزيد، الذي وُلد حسب الكتابة المنقوشة على شاهد قبره سنة 1205هـ/1790-91م، وتوفي في جمادى الثاني سنة 1207هـ/1793م،²⁰⁷ وهو ما يعني وفاته صغيرا مثل أخيه مولاي إبراهيم، وتزامن وفاته هو الآخر مع وجود والده السلطان مولاي هشام على رأس الجهاز المخزني بمراكش.

وبعد هذين الأميرين، دُفنت في المقبرة الخارجية أيضا زمن حكم السلطان محمد بن عبد الرحمان، امرأة مجهولة الاسم والنسب، "توفيت ليلة الاثنين، ودفنت بعد الزوال سابع رمضان المعظم عام ثلاثة وثمانين ومائتين وألف [1867م]،"²⁰⁸ وقد نبّه دوڤردان في تعليقه على نص هذه الكتابة الشاهدية إلى وجود تناقض بين تاريخ الوفاة الدفن، فالأثنين يوافق الثامن من شهر رمضان لا السادس منه، وبالتالي من المفروض أن يكون الدفن في اليوم التاسع من رمضان، أو أن المكلف بتحرير النص أو القائم بنقشه على مربعات الزليج ربما أخطأ في تاريخ الوفاة، فجعله يوم الاثنين بدل يوم السبت السادس رمضان.²⁰⁹

وننهي لائحة المدفونين في مقبرة الأشراف السعديين منذ القرن الرابع عشر الميلادي، بامرأة مجهولة الاسم والنسب دفنت بقاعة الإثنا عشر عمودا، بعدما توفيت "عشية الثلاثاء سابع رمضان المعظم عام خمسة وثمانين ومائتين وألف [1868م]،"²¹⁰ أي

205. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°111, 114; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°7, 7.

206. الناصري، كتاب الاستقصا، ج. 7، 128.

207. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°121, 123; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°32, 42.

208. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°122, 124; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°34, 44.

209. Deverdun, *Inscriptions*, 124.

210. Deverdun, *Inscriptions*, inscription n°103, 108; Rousseau et Arin, *Le mausolée*, inscription n°13, 17.

إبان فترة حكم السلطان محمد بن عبد الرحمان، وقد نقش نص الكتابة الشاهدية الخاص بها على مربعات الزليج لا على شاهد رخامي كما جرت العادة.

وبحديثنا عن هذا القبر، نكون قد أتينا على ذكر كل القبور المزودة بكتابات عربية منقوشة في مقبرة الأشراف السعديين. وهي قبور لا تمثل إلا جزءا يسيرا من مجموع القبور الموجودة في المقبرة، لكن البقية لا تتوفر على كتابات شاهدية، وتم الاقتصار في إعدادها على إنجاز لوحة فسيفسائية مستطيلة من قطع الزليج تغطي موضع القبر لا غير.

وقد كشفت لنا الكتابات الشاهدية سالفه الذكر عن بدايات الدفن في المقبرة، أي في القرن الرابع عشر الميلادي وبالضبط سنة 752هـ/1351م تاريخ وفاة السلطان أبي الحسن المريني، مرورا بالأmirين أحمد بن أبي ثابت عامر بن أبي الحسن علي بن عبد العزيز الهنتاتي المتوفى سنة 859هـ/1455م، والناصر بن يوسف بن علي بن عبد المؤمن بن عبد العزيز الهنتاتي المتوفى سنة 926هـ/1520م.

وتلت ذلك المرحلة السعدية التي استهلكت بدفن السلطان محمد الشيخ المهدي بالله يوم الخميس 19م حرم سنة 965هـ/1557م، وانتهت بإقبار السيدة بنت الحسين الجرجار خلال فترة حكم آخر سلاطين الدولة السعدية أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ الأصغر (1064-69هـ/1654-59م). وتكشف المقبرة خلال هذه المرحلة من خلال كتاباتها الشاهدية النقاب عن حالة الانقسام السياسي التي تلت وفاة السلطان أحمد المنصور بالله، فالسلاطين الذين تعاقبوا على حكم مملكة فاس بالإضافة إلى أفراد أسرهم، غابت شواهد قبورهم عن المقبرة الملكية بمراكش، دون أن يخلفوا لنا أثرا جنائزيا مماثلا بمدينة فاس، بل إن قبور جلهم مجهولة إلى حدود الساعة حسب مدونة الكتابات العربية المنقوشة بفاس زمن حكم السعديين، وهو ما يدل في نظرنا على ضعف الاستقرار بهذه المملكة.

واستمرت عمليات الدفن في المقبرة خلال المرحلة العلوية إلى حدود سنة 1285هـ/1868م تاريخ دفن سيدة مجهولة الاسم بقاعة الإثنا عشر عمودا، وهو دليل يفند إلى حد ما، ما راجع في بعض الكتابات الأوروبية حول الغيرة التي انتابت السلاطين العلويين لما أبصروا الروائع المعمارية للسعديين بمدينة مراكش على وجه الخصوص، وبذلهم الجهود لمحو كل الشواهد الدالة على عظمة دولتهم.

بيليو غرافيا

- Ad-du‘ayyif, Muḥammad. *Tārīkh ad-du‘ayyif ar-Ribātī*. Texte arabe étudié et annoté par Muḥammad al-Būzīdī ash-Shaykhī. Casablanca: Dār at-Thaqāfa, 1988.
- Aḥbār min ‘Ā’ilat Ibn Dannān al-gharnāṭiyya al-Fāsiyya, *Kitāb at-Tawārīkh*. Traduit de l’hébreu par ‘Abd al-Azīz Shahbar. Tétouan: publications de l’Association Tittāwn Asmīr, 2002.
- Aīt Oumghar, Samir. *Notice sur Qobour el-Achrāf (Les tombeaux des chérifs) dans le complexe de Sidi ben Soliman el-Jazouli à Marrakech*. Série les éditions limitées, Marrakech: publication de la Maison de la photographie de Marrakech, 2015.
- Al-Ifrānī, Muḥammad. *Nuzhat al-ḥādī bi-akhbār mulūk al-Qarn al-ḥādī*. Texte arabe présenté et annoté par ‘Abd al-Latīf Shādīlī. Casablanca: Imprimerie an-Najāh al-Jadīda, 1998.
- Al-Kansūsī, Muḥammad. *Al-Jaysh al-‘aramram al-khumāsī fī dawlat awlād mawlānā ‘Ali as-Sijilmāssī*. Texte arabe présenté, annoté et commenté par Aḥmad ben Yūsuf al-Kansūsī, Marrakech: Imprimerie Papeterie al-Waṭaniyya, 1994.
- Al-Maknāsī, Aḥmad. *Durrat al-ḥijāl fī ghurrat asmā’ ar-rijāl*. Texte arabe édité par Allouche, Collection de textes arabes, V. Rabat: l’Institut des Hautes Études Marocaines, 1936.
- Al-Maknāsī, Aḥmad. *Jadhwat al-iqtibās fī dhikri man ḥalla mina al-‘lām madīnata Fās*. Rabat: Dār al-Mansūr pour l’impression et la papeterie, 1973.
- Al-Mansūrī, ‘Utmān. “Tārīkh al-Mar’a al-maghribiyya fī al-‘Asr al-ḥadīth “muqāraba awwaliyya.”” *Majalat Amal* 13/14 (1998): 150-64.
- Al-Maqarrī, Aḥmad. *Rawḍat al-Ās al-‘atirat al-Anfās fī dhikri man laqītuhu min A‘lām al-ḥadīratayn Murrākush wa Fās*. Rabat: Imprimerie Royale, 1983.
- Al-Marīnī, Najāt. *Shi‘r ‘Abd al-‘Azīz al-Fashtālī*. Rabat: Librairie al-Ma‘arif, 1986.
- _____. *Ash-Shi‘r al-Maghribī fī ‘Asr al-Mansūr As-Sa’dī*. Série Thèses et Mémoires (43). Rabat: publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université Muḥammad V, 1999.
- Al-Msherfī, Muḥammad. *Al-Ḥulal al-bahiyya fī Mulūk ad-dawla al-‘Alawiyya wa ‘addi ba‘ḍi mafākhiriha ghayr al-mutanāhiyya*. Texte arabe établi et annoté par Idrīs būhlīla. Rabat: Publications du Ministère des Habous et des affaires islamiques, 2005.
- Al-Qādirī, Muḥammad. *Nashr al-Mathānī li ahli al-qarn al-ḥādī ‘ashar wa thānī*. Texte arabe annoté par Muḥammad Ḥajjī et Aḥmad Tawfīq, Série Tarājim (3). Rabat: Publications de Dār al-Maghrib pour la publication, la traduction et l’édition, 1977.
- Al-‘umari, Aḥmad. “*Wasf al-Maghrib ayyām Sultān Abī al-Hasan al-Marīnī; muqtabas min Masālik al-Abṣār fī mamālik al-Amṣār*.” In al-Manūnī Muḥammad, *Waraqāt ‘an Ḥadārat al-Marīniyyīn*. Série Essais et Études (20). Rabat: Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université Muḥammad V, 2000.
- An-Nāṣirī, Aḥmad. *Kitāb al-Istiḳṣā li Akhbār duwal al-Maghrib al-Aqṣā*. Texte arabe annoté et commenté par Aḥmad An-Nāṣirī, sous la direction de Muḥammad Ḥajjī, Ibrāhīm Būṭāleb et Aḥmad Tawfīq. Rabat: Publications du ministère de la Culture et de la Communication, 2001.
- As-sa’dī, ‘Abd Raḥman. *Tārīkh as-Sūdān*. Texte arabe édité et traduit en français par Octave Houdas, Paris: P.E.L.O.V., Librairie d’Amérique et d’Orient Adrien Maisonneuve, 1981.
- ‘Awnī, al-ḥāj Mūsā. *Fan al-Manqūshāt al-Kitābiyya fī al-Gharb al-Islāmī: Mudawwanat al-Kitābāt al-Manqūsha as-Sa’diyya wa al-‘Aalawiyya bi madīnat Fās, Dirāsa Tārīkhiyya*

- wa *Fanniya*. Série Études (2). Casablanca: publications de la fondation du Roi Abdul-Aziz Al Saoud pour les Études Islamiques et les Sciences Humaines, 2010.
- Az-zarkashī, Muḥammad. *Tārīkh ad-dawlatayn al-Muwahhidīya wa al-Hafsiya*. Texte arabe annoté et commenté par Muḥammad Mādūr, Série min Thurātina al-Islāmī (2). Tunis: al-Maktaba al-'Atīqa, 1966.
- Az-zerhūnī, al-Kafīf. *Mal'abat al-Kafīf az-zerhūnī*. Texte arabe présenté, commenté et annoté par Muḥammad Ben Shrifā. Rabat: Imprimerie Royale, 1987.
- Bartolomé, Bennassar, Lucile, Bennassar. *Les chrétiens d'Allah: L'histoire extraordinaire des renégats, XVI^{ème} et XVII^{ème} siècles*. Collection "Tempus." Paris: Perrin, 2006.
- Basset, Henri, Lévi-Provençal, Évariste. *Chella; une nécropole mérinide*. Paris: Emile Larose éditeur, 1923.
- Ben'illa, Muṣṭafā. *Majmū'at zahāir wa rasāil as-Sa'diyyīn; dirāsa wa taḥqīq*. Rabat: Publications de l'Association al-Hasan al-Wazzān pour le Savoir historique, 2011.
- Berthier, Pierre. *Ma'arakat wād al-Makhāzin*. Texte traduit en arabe par Mḥammad Ben'abūd, Khadīja Harakāt et Aḥmad 'Ammālk. Casablanca: Publications Tānsift, 1991.
- Būshentūf, Luṭfī. *Al-'ālim wa as-Sultān; dirāsa fī intiḡāl al-ḥukm wa moqawwimāt al-mashrū'īya: al-'ahd as-Sa'dī al-Awwal*. Série Thèses et Mémoires. Casablanca: Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université Hasan II, Ain Chok, 2004.
- Būtshīsh, Ibrāhīm al-Qādīrī. "Mi'mār Murrākush fī 'aṣray al-Murābiṭīn wa al-Muwahhidīn min khilāl an-nuṣūṣ al-athariyya al-wārida fī al-maṣādir al-maktūba." In *Ḥalaqāt mafqūda min Tārīkh al-ḥadāra fī al-Gharb al-Islāmī*. Beirut: Dār aṭ-Ṭalī'a, 2006.
- Carvajal, Luis del Mármol. *Ifrīqya*. Texte traduit en arabe par Muḥammad Ḥajjī, Muḥammad Znībr, Muḥammad al-Akhḍar, Aḥmad Tawfīq et Aḥmad ben Jellūn. Rabat: Publications de l'Association Marocaine pour la publication, la traduction et l'édition, 1984-1988-1989.
- Colin, Georges. "Une nouvelle inscription saadienne de Marrakech." *Hespéris* XXXII (1945): 73-76.
- Cour, Auguste. *Dawlat banī Waṭṭās (1420-1554)*. Texte traduit en arabe par Muḥammad Faṭḥa, Série Textes et travaux traduits (12). Rabat: Publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines, Université Muḥammad V, 2010.
- Dāwūd, Muḥammad. *Tārīkh Titwān*. Titwān: Imprimerie Mūlāy al-Hasan, 1959.
- De Castries, Henri. "Les sept patrons de Marrakech." *Hespéris* IV (1924): 245-304.
- _____. "Généalogie des princes de la dynastie Saadienne." In *Sources inédites de l'histoire du Maroc*, première série: Dynastie Saadienne, Archives et Bibliothèques de France, Bibliographie et index général, publication de la Section Historique du Maroc. Paris: Paul Geuthner, 1926. (Pl. III, Hors texte)
- _____. "Le cimetière de Djama el-Mansour." *Hespéris* VII (1927): 347-66.
- De Cénival, Pierre. "Les émirs des Hintata -rois de Marrakech-." *Hespéris* XXIV (1937): 245-57.
- _____. "Marrakush." In *Encyclopédie de l'Islam*, nouvelle édition. Leiden: E.J. Brill-Paris: G.-P. Maisonneuve et Larose S.A., (1991), t. VI: 573-82.

- De Henin, Jorge. *Waṣf al-Mamālik al-Maghribiya (1603-1613) Modhakkirat Jorge De Henin*. Traduit en arabe par ‘Abd al-Wāhid Akmīr, introduction critique et annotation par Torcuato Pérez De Cuzmán, Série Traductions. Rabat: publications de l’Institut des Études Africaines, 1997.
- De Saldanha, Antonio. *Akhbār Aḥmad al-Manṣūr sultān al-Maghrib*. Texte présente, traduit et annoté par Ibrāhīm Būtālb, ‘Uthmān al-Manṣūrī et Luṭfī Būshentūf. Rabat: Publications de l’Association Marocaine pour la publication, la traduction et l’édition, 2011.
- De Torres, Diego. *Tārīkh Shurafā’*. Traduit en arabe par Muḥammad Ḥajjī et Muḥammad al-Akhdar. Casablanca: Société d’édition et de diffusion al-Madāris, 1988.
- Deverduin, Gaston. “Nouvelles inscriptions arabes à Marrakech.” *Hespéris* XXXIV (1947): 455-9.
- _____. *Marrakech des origines à 1912*. Rabat: Éditions Techniques Nord-africaines, 1959.
- _____. *Inscriptions arabes de Marrakech*. Série Les Trésors de la Bibliothèque, N° 10, Rabat-Marrakech: Publication de l’Université Mohammed V-Agdal, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines – l’Université Cadi Ayyad, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines – 1^{ère} édition, 2011.
- Ezziāni, Aboulqāsem ben Ahmed. *Le Maroc de 1631 à 1812, Extrait de l’ouvrage intitulé Ettordjemān Elmo’rib ‘An Douel elmachriq ou’Imaghrib*. Publié et traduit par O. Houdas. Rabat: Dar Al Amane, 2013.
- Ḥajjī, Muḥammad. “Ibn Sāsī ‘Abd ‘Allāh.” In *Ma‘lamat al-Maghrib*, deuxième édition. Rabat: publications de l’Association Marocaine pour la publication, la traduction et l’édition, (2014), vol.14, 4814-15.
- Ḥarakāt, Ibrāhīm. *As-siyāsa wa al-mujtama‘ fī al-‘asr as-Sa‘dī*. Casablanca: Dar Rashād al-Ḥadītha, 1987.
- Ibn ‘Abd al-Malik, Muḥammad. *A-dhayl wa Takmila li-Kitābay al-mawṣūl wa Ṣila*. Vol. 5, première partie, texte arabe annoté par Iḥsān ‘Abbās, série al-Maktaba al-Andalusiyya (11). Beirut: Dār Thaqāfa, 1965.
- _____. *A-dhayl wa Takmila li-Kitābay al-mawṣūl wa Ṣila*. Vol. 8, première partie, texte arabe Présenté, annoté et commenté par Muḥammad ben Shrifā. Rabat: Publications de l’Académie du Royaume du Maroc, 1984.
- _____. *A-dhayl wa Takmila li-Kitābay al-mawṣūl wa Ṣila*. Vol. 6, texte arabe annoté et commenté par Iḥsān ‘Abbās, Muḥammad ben Shrifā et Bashār ‘Awwad Ma‘rūf, Série Tarājim Andalusiyya (9). Tunis: Dār al-Gharb al-Islāmī, 2012.
- Ibn al-Aḥmar, Ismā‘īl. *Rawḍat an-nisrīn fī dawlat Banī Marīn*. Texte arabe établi et annoté par ‘abd al-Wahhāb ibn Manṣūr. Rabat: Imprimerie Royale, 2003.
- Ibn al-Khaṭīb, Lisān ad-dīn. *Raqm al-ḥulal fī nazm ad-duwal*. Tunis: Imprimerie public, 1316.
- Ibn al-Muwaqqit, Muḥammad. *As-Sa‘āda al-abadiya fī at-ta‘rīf bi mashāhīr al-ḥaḍra al-Murrākushiya*. Texte arabe présenté et annoté par Ḥasan Jallāb et Aḥmad Motafakkir. Marrakech: Imprimerie Papeterie al-Waṭaniyya, 2002.
- Ibn al-Qāḍī, Aḥmad. *Al-Muntaqa al-Maqṣūr ‘ala māāthir al-Khalīfa al-Manṣūr*. Texte arabe étudié et annoté par Moḥammad Razzūq. Rabat: Librairie al-Ma‘arif, 1986.
- Ibn ‘Idhārī, Aḥmad. *Al-Bayān al-Mughrib fī Akhbār al-Andalus wa al-Maghrib*. (Les Almohades), Texte arabe annoté par Muḥammad Ibrāhīm al-Kattānī, Muḥammad Znībr et ‘Abd al-Qādir Zmāma, publications de l’Association Marocaine pour

- la publication, la traduction et l'édition à Rabat. Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmī-Casablanca: Dār at-Thaqāfa, 1985.
- Ibn Khaldūn, 'Abd ar-Rahmān. *Kitāb al-'Ibar wa diwān al-mubtadā wa al-khabar fī Ayyām al-'Arab wa al-'Ajam wa al-Barbar wa man 'āṣarahom min dhawī as-Sultān al-akbar*. Beirut: Dār al-Fikr, 1979.
- Kāzīm, al-Mayyāh mushtāq. *Murrākosh khilāla 'Asri al-Muwaḥḥidīn: Dirāsa fī al-ḥayāt al-ijtimā'iyya wa al-iqtisādiyya*. Damas: Dār Safahāt pour l'édition et la diffusion – Baghdad: Dār wa Maktabat 'Adnān pour l'impression, l'édition et la diffusion, 2014.
- Koehler, P. Henry. "La Kasba Saadienne de Marrakech d'après un plan manuscrit de 1585." *Hespéris XXVII* (1940): 1-19.
- Le Tourneau, Roger. "Histoire de la dynastie sa'dide. Extrait de al-Turguman al-mu'rib 'an duwal al-Masriq wal Magrib d'Abū al Qāsim ben Ahmad ben 'Ali ben Ibrahim al-Zayyānī. Texte, traduction et notes présentés par L. Mougin et H. Hamburger." *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée 23* (1977): 7-109.
- Lintz, Yannik, Déléry, Claire, Tuil-Leonetti, Bulle, (dir.), *Le Maroc médiéval, Un empire de l'Afrique à l'Espagne*. Paris: Louvre édition, Hazan, 2014.
- Majhūl, *Al-ḥulal al-Mūshiya fī dhikri al-Akhbār al-Murrākushiya*. Texte arabe établi et annoté par Sohayl Zakkār et 'Abd al-Qādir Zemāma. Casablanca: Dar ar-Rashād al-Ḥadītha, 1979.
- Majhūl, *Tārīkh ad-dawla as-Sa'diyya at-taghmaddārtiyya*. Texte arabe établi, présenté et annoté par 'Abd Raḥīm ben Ḥādda. Marrakech: Publications 'Uyūn al-maqālāt, 1994.
- Marçais, Georges. *L'Architecture Musulmane d'Occident*. Paris: Arts et Métiers graphiques, 1954.
- Muḥammad, al-Qablī. (éds.), *Krūnūlūjyā Tārīkh al-Maghrib min 'usūr mā qabla at-tārīkh ilā nihāyat al-qarn al-'ishrīn*. Rabat: publications de l'Institut Royal pour la recherche sur l'Histoire du Maroc, 2012.
- Mulīn, Muḥammad Nabīl. *As-Sultān ash-sharīf; al-judhūr ad-dīniya wa siyāsiya li dawla al-Makhzaniya fī al-Maghrib*. Texte traduit en arabe par 'Abd al-ḥaq az-Zemmūrī et 'Adil ben 'Abd Allah. Rabat: publications de l'Institut Universitaire de la Recherche Scientifique, 2013.
- Rabino, Hyacinth Louis. "Contribution à l'histoire des Saadiens." *Archives Berbères*, vol. 4, fascicule 1-2, (1919-20): 1-26.
- Rābiṭat Ad-dīn, Muḥammad. *Murrākush zamana ḥukmi al-Muwaḥḥidīn: jawānib min Tārīkh al-majāl wa al-insān*. Marrakech: Imprimerie Papeterie al-Waṭaniyya, 2008.
- Rousseau, Gabriel, Arin, Félix. *Le mausolée des Princes Sa'diens à Marrakech*. Paris: Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1925.
- T'ārjī, 'Abbās ben Ibrāhīm. *Idhār al-Kamāl fī tatmīm manāqib Sab'ati Rijāl*. Texte arabe étudié et annoté par Idrīs Shrāwtī, Rabat: Publications du Ministère des Habous et des affaires islamiques, 2013.
- Trīkī, Hāmid. "Al-Masājīd wa waṣāifuha zamana al-Murābiṭīn wa al-Muwaḥḥidīn." In Actes du colloque *Murrākush mina at-tāsīs ilā 'ākhīr al-'asr al-Muwaḥḥidī*, 155-69. Marrakech: publications de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines à Marrakech, le Centre d'Études et de Recherches sur Marrakech et l'Association Le Grand Atlas, 1989.

- 'Uthmān, Ismā'īl 'Uthmān. *Tārīkh al-'imāra al-islāmiya wa al-funūn at-tatbīqiya bi al-Maghrib al-Aqṣā*. Rabat: al-Hilāl al-'Arabiyya pour l'impression et l'édition, 1993.
- Voinot, Louis. "Les zaouïas de Marrakech et de la région voisine." *Revue de Géographie Marocaine* 1 (1937): 5-53.
- Wilboux, Quentin. *La médina de Marrakech : Formation des espaces urbains d'une ancienne capitale du Maroc*. Paris: l'Harmattan, 2001.
- Yāsīn, Ibrāhīm. *Janūb Aṭlas Murrākush taḥta ḥukmi al-Faransiyyīn wa al-qāda al-Glāwiyyīn: 'Ātār al-iḥtilāl al-Faransī li-bilād 'Āyt Wāwzīgūt*. Rabat: Dār Abī Raqrāq pour l'impression et l'édition, 2003.

ملخص: جوانب من تاريخ مقبرة الأشراف السعديين بمراكش

تعتبر مقبرة الأشراف السعديين في مدينة مراكش من أهم الصروح السعدية التي نجت من موجة التخريب التي همت كثيرا من المنشآت بعد وفاة السلطان أحمد المنصور بالله. وقد بدأت عمليات الدفن بها سنة 1351م تاريخ وفاة السلطان أبي الحسن المريني ودفنه. كما وقع استغلالها في القرن الخامس عشر كمدفن لبعض أمراء الأسرة الهنتاتية. أما المرحلة السعدية، فقد خلفت لنا عددا هائلا من القبور الخاصة بمجموعة من سلاطين الدولة السعدية وأفراد أسرهم، فضلا عن بعض الموظفين داخل البلاط السعدي. واستمر الدفن في المقبرة خلال المرحلة العلوية إلى حدود سنة 1868.

الكلمات المفتاحية: مراكش، مقبرة الأشراف السعديين، تاريخ عمليات الدفن، الكتابات العربية المنقوشة.

Résumé: Histoire de La nécropole des chérifs Saadiens à Marrakech

La nécropole des chérifs saadiens à Marrakech est l'un des chefs-d'œuvre saadiens qui échappa à la destruction systématique qui suivit le décès du sultan Aḥmad al-Manṣūr. Les enterrements commencèrent dans cet espace funéraire en 1351 J.-C. date du décès et de l'enterrement du sultan mérinide Abu al-Hasan. La nécropole fut exploitée au XV^{ème} siècle J.-C. par quelques princes Hintata, alors que la période saadienne a légué un grand nombre de tombes des sultans et des membres de leurs familles, avec quelques tombes de fonctionnaires dans la cour. Les enterrements se sont poursuivis durant la période alaouite jusqu'à l'année 1868.

Mots clés: Marrakech, nécropole des chérifs Saadiens, histoire des enterrements, inscriptions arabes.

Abstract: Some aspects of the history of Saadian sharifs' necropolis in Marrakech

The necropolis of the Saadian sharifs in Marrakesh is one of the Saadian masterpieces that escaped the systematic destruction that followed the death of Sultan Aḥmad al-Manṣūr. Burial began in this funeral space in 1351 AD when the Merinid sultan Abu al-Hasan died and was buried. The necropolis was exploited in the XVth century AD by some Hintata princes, while the Saadian period bequeathed a large number of tombs of the sultans and their families, with some tombs of officials in the courtyard. The funerals continued during the Alawite period until 1868.

Keywords: Marrakech, necropolis of Saadian sharifs, history of burials, Arabic inscriptions.

Resumen: Aspectos de la historia de la necrópolis Sharifs Saadi en Marrakech

La necrópolis de los Sharif Saadi en Marrakech es una de las obras maestras Saadi que escapó de la destrucción sistemática que siguió a la muerte de Sultan Aḥmad al-Manṣūr. Funeral entierro comenzó en este espacio en 1351 DC Cuando el sultán meriní Abu al-Ḥasan y murió fue enterrado. La necrópolis fue explotada en el siglo XV DC por algunos príncipes Hintata, mientras que el período Saadi ha legado amplio número de tumbas de los sultanes y sus familias, con algunas tumbas de los funcionarios en el patio. Los funerales continuó durante el período alauita hasta 1868.

Palabras clave: Marrakech, necrópolis de sharifs Saadi, la historia de enterramientos, inscripciones en árabe.